التعيين عبر الصندوق: لعبة المال والسياسة فى انتخابات الرياضية 03

شحاتة المقدس فى حوار: خيانة فى دير الأنبا سمعان 04

هل تعانى مصر من أزمة هوية .. أم أزمة تهميش 05

نيابة أمن الدولة العليا تخلى سبيل عمار على حسن بكفالة 20 ألف جنيه

بعد تحقيق مطول استمر نحو ٥ ساعات قررت نيابة أمن الدولة العليا إخلاء سبيل الأديب والمفكر عمار على حسن بكفالة قدرها عشرون ألف جنيه على ذمة قضية تحمل رقم ١٠٢٠٤ لسنة ٢٠٢٥

وأنهت نيابة أمن الدولة التحقيق مع الدكتور عمار على حسن بعد اتهامه بنشر أخبار وبيانات كاذبة، وقررت إخلاء سبيله بكفالة، وحضر التحقيق الأستاذة ايمان عوف رئيس لجنة الحريات بنقابة الصحفيين، ومحامى اتحاد الكتاب ومحامى نقابة الصحفيين وتكون فريق الدفاع الحاضر من الأساتذة ناصر أمين وإبراهيم العزب وخالد على.

واستدعى عمار على حسن حسب مصادر فى هيئة دفاعه بعد بلاغ من كامل الوزير، وزير النقل، الذى نسبت إليه نشر محتوى اعتُبر مخالفًا للقانون، دون إعلان تفاصيل إضافية حول مسار القضية أو مواعيد لاحقة لاستكمال التحقيقات.

وكان عمار قد شارك خبرا من إحدى الصحف فى ١٩ نوفمبر الماضى يعلن فيه كامل الوزير إنشاء ساعة ضخمة بالعاصمة الإدارية على غرار ساعة جامعة القاهرة بالقول "وكما قال المثل الشعبى المصرى الشهير : "اللى معاه قرش محيره، يجيب حمام ويطيره"

وتلقى د. عمار السبت الماضى استدعاء من نيابة أمن الدولة العليا بغرض "استجوابه" فى تحقيقات جارية خاصة بالقضية، حيث جاء محضر إلى بيته وسلمه ورقة "ممهورة بإمضاء السيد المحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا، لكن ليس موضحًا فيها سبب الاستدعاء، ولا مضمون القضية، وما إذا كان الاستجواب هذا تحقيقًا أم شهادة".

وقال الدكتور عمار فى حوار للمشهد عقب استدعائه أنه صاحب قلم حر مستقل يكتب للصالح العام والسلطة تعلم ذلك، وأضاف قائلا: نحن نختلف فى مصر، ولا نختلف عليها. هذا ما ينبغى له أن يكون، وما أومن به. والسلطة السياسية بمختلف مؤسساتها وأجهزتها تعرف الحقيقة، أو يفترض هذا، ومن ثم تدرك وتفرق بين من يتحدث أو يكتب ابتغاء وجه الله والناس والوطن، ويخلص للحق والحقيقة، ومن ليس كذلك. ومن يتابعنى يعرف أننى أقدح من رأسي، وليس من رأس أحد، لأنى من المؤمنين بضرورة أن يكون الكاتب حرا ومستقلا، وأتمنى أن يدرك أهل القرار فى البلاد هذه المعادلة جيدا، وإن كانوا يدركونها فعليهم العمل بها.

وأضاف عمار أنه أستدعى من قبل للمثول أمام النيابة العامة فى مارس ٢٠١٠ على خلفية مقال بصحيفة "المصرى اليوم" عن "صفقة بين الحزب الوطنى والوفد"، أثارت صخبا شديدا، وخرج صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى وقتها والرجل النافذ فى نظام مبارك بالرد عليه، دون ذكر اسمه، وقال "الحزب الوطنى لا يبرم صفقات إلا مع المواطنين"، كما عقد د. على الدين هلال مؤتمرا صحفيا للرد، لكن الحزب الوطنى لم يرفع دعوى ضده، إنما رفعها د. محمود أباظة رئيس حزب الوفد، طالبا يومها تعويضا قدره عشرين مليون جنيه، وهى تساوى ٢٥٠ مليون الآن، بتقويم سعر الجنيه مقابل الدولار. وتصادف أن مصر لم تكن بها أحداث سياسية لافتة، وكان الإعلام حرا إلى حد معقول، فظلت المسألة محل تداول على مدار أسبوعين على الأقل. وعقد مناظرات فى برامج "التوك شو" ، وأعدت تقارير وتحليلات فى الصحف المصرية والعربية، وامتد الأمر إلى مختلف القنوات الإخبارية العربية. وكتب مقالات، وقادت صحيفة "الوفد" حملة ضدى كانت عنيفة، وقمت بالرد فى مقالات مضادة.

وأردف قائلا: لم يتم يومها الاستدعاء بالطريقة التى أنا بصددها الآن، إنما "هاتفنى وكيل النائب العام لمحكمة شرق القاهرة، وقال لى بطريقة غاية فى التهذيب: ما اليوم الذى يناسبك للحضور؟ فقلت له: حدد الموعد الذى تراه وأنا سآتى إليك. وذهبت مع عدد كبير من المحامين المتطوعين. وطلب المحامون من النيابة الإطلاع على أقوال الخصم فوافقت، وأمهلت التحقيق أسبوعا للإطلاع. مثلت أمام وكيل النيابة، وكان رجلا مقتدرا فى القانون والأخلاق، واستمر التحقيق زهاء الست ساعات، وانتهى بإخلاء سبيلى بضمان بطاقتى الصحفية، وحفظت القضية بعد ثمانية شهور تقريبا، ولفت انتباهى أن حيثيات الحفظ أخذت نصا من أقوالي".

وسألته المشهد هل سبق أن تواصلت معكم أى جهة بسبب مقالات أو منشورات بعينها؟ فقال: على مدار ربع قرن من مقالاتي، ورغم ما تنطوى عليه من نقد، يعلم الله أنه يروم الصالح العام، لم يتصل بى أحد، ليطلب منى استفسارا، أو يطلب حذف تغريدة على إكس أو مكتوب على فيسبوك أو يعرب عن امتعاضه من مقال أو لقاء متلفز، باستثناء مرة واحدة، عام ٢٠١٩، استدعانى الأمن الوطنى ليسألنى عمن قصدت بتغريدة كانت تنال من شخص مُمَكّن فى السلطة، وقلت لهم من أقصد دون مواربة، وانتهى الأمر بسلام. (نص الحوار ص ٨)

وعمار على حسن أديب ومفكر مصري، تخرج فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية . جامعة القاهرة، ويحمل الدكتوراه فى العلوم السياسية. له أكثر من ستين كتابًا، نصفها فى الاجتماع السياسي، وله ثلاثون كتابًا أدبيًا عبارة عن روايات ومجموعات قصصية ودواوين شعر ومسرحية ودراسات فى النقد الأدبى والثقافي. أعدت عن أعماله عشرون أطروحة جامعية، وتُرجم بعضها إلى لغات عدة، وحازت جوائز مرموقة.

السيد جمال الدين

جريدة أسبوعية – تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 342 – السنة الثالثة عشرة –

الإثنين 15 ديسمبر 2025 م -

24 جمادى الآخرة 1447 هـ

10 صفحات – الثمن : 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

قضايا

ما الذى سقط فى الشام؟ 06

ثقافة

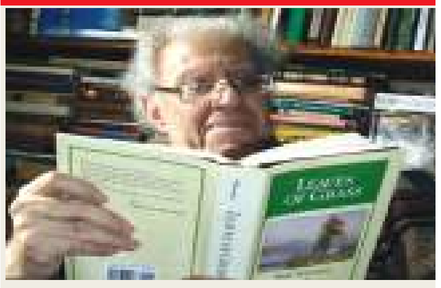

ماهر البطوطي.. عملاق منسى 07

مجتمع

دفتر هاشم.. المفتوح للحياة 10

13 توصية للمجلس القومى لحقوق الإنسان فى تقريره السنوي:

إصلاح السجون والتوقف عن الحبس فى قضايا الرأى وإنهاء حجب المواقع

المجلس يوصى بالإسراع فى مراجعة إطار الجرائم المعاقب عليها بالإعدام وقصرها على الجرائم الأشد خطورة

أوصى المجلس القومى لحقوق الإنسان فى تقريره السنوى الثامن عشر عن الفترة من ١ يوليو ٢٠٢٤ وحتى ٣٠ يونيو ٢٠٢٥، بمجموعة من التوصيات المتعلقة بتعزيز الحقوق المدنية والسياسية. والتوصيات تضمنت التالي:

١. الإسراع فى مراجعة إطار الجرائم المعاقب عليها بالإعدام وقصرها على الجرائم الأشد خطورة. كما يشجع المجلس على تبنى وقف طوعى لتنفيذ عقوبة الإعدام إلى حين إدخال هذه المراجعة الضرورية واللازمة على الأطر القانونية ذات الصلة.

٢. تعديل المواد المجرمة للتعذيب وإساءة المعاملة فى قانون العقوبات المصرى لضمان توافقها مع التعريف الوارد باتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب، ويطالب المجلس بشكل خاص بتعديل المادة ١٢٦ من قانون العقوبات لضمان توافق تعريف التعذيب مع المادة ١ من الاتفاقية، وتوسيع نطاقه ليشمل أى شخص يحاول ارتكاب التعذيب أو يتواطأ أو يشارك فى التعذيب، على النحو المنصوص عليه فى المادة (١٤) من الاتفاقية.

٣. التوسع فى ممارسة رئيس الجمهورية لسلطته الدستورية بالعفو عن العقوبة مع التركيز على السجناء والمحكوم عليهم فى قضايا مرتبطة بمخالفات القوانين المنظمة للممارسة السياسية وممارسات حرية الرأى والتعبير، كما يشجع المجلس النيابة العامة على تبنى تدابير مخففة وإنهاء حالة الحبس الاحتياطى لعدد من المحبوسين على ذمة قضايا مرتبطة بذات النطاق، خاصة من أعضاء نقابة الصحفيين والممارسين للعمل الصحفى والسياسي، ووضع حلول قضائية ناجزة لظاهرة إعادة احتجاز بعض المتهمين على ذمة قضايا أخرى بعد انتهاء فترة حبسهم احتياطيا.

٤. الاستمرار فى جهود النيابة العامة المتعلقة بزيارة مراكز الإصلاح والتأهيل ومقار الاحتجاز بأقسام الشرطة، ويشجع المجلس النيابة العامة على إصدار بيانات تفصيلية حول نتائج الزيارات والمخالفات التى تم رصدها والإجراءات المتخذة بشأنها.

٥. استكمال خطة وزارة الداخلية المتعلقة بإحلال السجون القديمة بمراكز تأهيل متطورة وتسريع وتيرة إعادة تأهيل مقار الاحتجاز التابعة لأقسام الشرطة لضمان استيفائها المعايير البنية الأساسية اللازمة لتمتع المحرومون من حريتهم بحقوقهم.

٦. تطوير المؤسسات العقابية للأحداث والتوسع فيها وعدم الاكتفاء بالمؤسسة العقابية بالمرج، ومعالجة المشكلات التى رصدتها بعثة المجلس فى زيارتها للمؤسسة خاصة فيما يتعلق بضمان التحاق كل النزلاء ببرامج التعليم وتفعيل التدريب على مهارات الحاسب الآلى وضمان وعى النزلاء وتيسير وصولهم لآليات الشكاوى داخل المؤسسة.

٧. العمل على تلافى بعض الإشكاليات فى قانون تنظيم لجوء الأجانب الذى أقره البرلمان مؤخرا، سواء من خلال اللائحة التنفيذية للقانون أو من خلال إدخال تعديلات تشريعية إذا لزم الأمر، خاصة فيما يتعلق بصلاحيات اللجنة الدائمة المتعلقة بسلطتها فى إسقاط صفة اللاجئ واتخاذ تدابير تقديرية بحق طالبى اللجوء واللاجئين لأسباب فضفاضة، وكذلك معالجة إشكالية

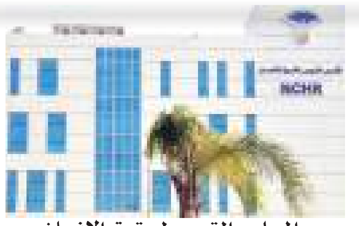

المجلس القومي لحقوق الإنسان

تطبيق القانون بأثر رجعى على حالات قد تقدر بمئات الآلاف، وضرورة تنظيم وضع ملتمسى اللجوء إلى حين البت فى طلباتهم وضمان تمتعهم بحد أدنى من الحقوق إلى حين البت فى طلباتهم.

٨. النظر بجدية للمخاوف التى أثارها نشطاء حقوقيين ومنظمات حقوقية ومحامين بشأن الأثر المتوقع لتطبيق قانون الإجراءات الجنائية الجديد، خاصة فيما يتعلق بضمانات حق الدفاع وصلاحيات النيابة العامة، ويشجع المجلس فى هذا الصدد على ضرورة التحلى بالانفتاح على هذه الآراء والنظر فى إمكانية إجراء التعديلات الواجبة التى يطمئن إليها كل عناصر منظومة العدالة الجنائية.

٩. أهمية تبنى مخرجات وتوصيات الحوار الوطنى فيما يتعلق بتطوير التشريعات والنظم والمؤسسات التى يمارس المواطنين من خلالها حقوقهم السياسية خاصة سرعة إصدار القانون المنظم للمجالس الشعبية المحلية وسرعة إجراء انتخاباتها وتشكيلها، وتعديل بعض بنود قانون مباشرة الحقوق السياسية لتعزيز استخدام التكنولوجيا الحديثة فى العملية الانتخابية.

١٠. إصدار قانون تنظيم تداول المعلومات نظرا لتأثيره المباشر على حرية الرأى والتعبير من خلال تمكين أصحاب المصلحة من الوصول للمعلومات.

١١. إجراء المراجعات التشريعية اللازمة على القوانين ذات التأثير على حرية الصحافة والصحفيين والمنظمة للعمل الصحفى وبالأخص قوانين العقوبات الإجراءات الجنائية، مكافحة الإرهاب الجريمة الإلكترونية، تنظيم الإعلام والمجلس الأعلى للإعلام حماية البيانات الشخصية، مع الالتزام بإدارة حوار مجتمعى حقيقى ودمج الجماعة الصحفية فى المناقشات المتعلقة بتعديل وتطوير هذه القوانين.

١٢. معالجة التحديات التى تواجه العديد من المنصات الإلكترونية فى الحصول على الترخيص القانونى لعملها والتوقف عن ممارسات حجب بعض المنصات وتيسير سبل توفيق المنصات غير المرخصة لأوضاعها القانونية.

١٣. إعادة النظر فى القوانين المنظمة للمشاركة السياسية خاصة قوانين الانتخابات والدوائر الانتخابية وتبنى نظام انتخابى يضمن تمثيلا أكبر للأحزاب السياسية ويوسع من نطاق المنافسة الانتخابية الحرة، كما يطالب المجلس بسرعة إصدار قانون الإدارة المحلية الجديد لتهيئة البيئة القانونية اللازمة لإجراء انتخابات المجالس المحلية بوصفها استحقاقا دستوريا معطلا منذ نحو أربعة عشر عاما

تقرير: هيباتيا موسى

وزير البترول: مصر عادت إلى الزيادة التدريجية فى إنتاج الغاز لأول مرة منذ 4 سنوات

شارك المهندس كريم بدوي، وزير البترول والثروة المعدنية، فى افتتاح "مؤتمر الأهرام للطاقة" فى نسخته التاسعة، والذى يُعقد تحت رعاية رئيس مجلس الوزراء الدكتور مصطفى مدبولي، بعنوان "مزيج الطاقة... فرص الاستثمار ومستقبل التنمية". شهد الافتتاح حضوراً رفيع المستوى تقدمه الدكتور محمود عصمت وزير الكهرباء والطاقة المتجددة، نائباً عن رئيس مجلس الوزراء، إلى جانب عدد من الوزراء والمحافظين والمسؤولين وقيادات وزارتى الكهرباء والطاقة المتجددة والبترول والثروة المعدنية ومؤسسة الأهرام، والمستثمرين المحليين والعالميين.

أكد الوزير فى كلمته نجاح الخطة الاستباقية والعمل التكاملى بين وزارتى البترول والكهرباء فى تجاوز تحديات الطاقة، وتأمين الإمدادات اللازمة لمحطات الكهرباء خلال فصل الصيف، لضمان تلبية احتياجات قطاعات الدولة الاقتصادية التى أصبحت مؤمّنة لمدة خمس سنوات مقبلة. وأشار إلى تحويل قطاع البترول من مرحلة التراجع إلى مرحلة الاستقرار والعودة إلى الزيادة التدريجية فى إنتاج الغاز لأول مرة منذ أربع سنوات، مع استهداف زيادة إنتاج البترول الخام لتحقيق الاكتفاء الذاتى خلال خمس سنوات من خلال طرح حزم تحفيزية للاستثمار ووسائل تكنولوجية جديدة للإنتاج مع الاستفادة من التجارب الناجحة للدول الرائدة فى هذا المجال.

وشدد الوزير على أهمية استمرار العمل التكاملى لتشكيل مزيج الطاقة الأمثل، من خلال تحديث الاستراتيجية الوطنية لرفع نصيب الطاقة المتجددة إلى ٤٢٪ من توليد الكهرباء بحلول عام ٢٠٣٠. وأوضح أن هذا التوجه يتيح إعادة توجيه جزء من الغاز الطبيعى إلى استخدامات تحقق قيمة مضافة أعلى، مثل صناعات البتروكيماويات والأسمدة، بما يدعم توطين الصناعة وزيادة الصادرات.

وفى سياق التحول الأخضر، لفت بدوى إلى خطة الوزارة لخفض الاعتماد على الوقود التقليدى وفتح آفاق الاستثمار فى مشروعات الطاقة الخضراء لأول مرة، ومنها وقود الطائرات الحيوى المستدام (SAF)، والأمونيا الخضراء، والإيثانول الحيوي. كما أشار إلى تنفيذ ١١٧ مشروعاً لاستخدام الطاقة المتجددة فى مواقع العمل البترولي، وتطبيق إجراءات لرفع كفاءة استهلاك الطاقة بنسبة ٨٪، مما أسهم فى خفض الانبعاثات الكربونية بنحو ١٫٤ مليون طن.

كما أشار الوزير إلى تواصل برامج الاستثمار مع الشركاء الدوليين لتحفيز تنمية

موارد الغاز والبترول، حيث تستهدف شركات كبرى ضخ استثمارات ضخمة خلال السنوات الخمس المقبلة، مثل إينى (٨ مليارات دولار)، وبى بى (٥ مليارات دولار)، وأركيوس (٣٫٧ مليارات دولار)، كما كشف عن برنامج طموح للاستكشاف يستهدف حفر نحو ٤٨٠ بئراً استكشافية بإجمالى استثمارات تقدر بنحو ٥٫٧ مليار دولار خلال خمس سنوات، منها ١٠١ بئراً مخطط حفرها خلال عام ٢٠٢٦، بالإضافة إلى التوسع فى أعمال المسح السيزمى الأرضى لتغطية ١٠٠ ألف كيلومتر مربع فى الصحراء الغربية، والبحرى لتغطية ٩٥ ألف كيلومتر مربع فى شرق المتوسط بتكنولوجيا OBN، مشيراً إلى أن كل هذه الاستثمارات تؤكد ثقة شركات البترول العالمية فى مناخ الاستثمار فى قطاع البترول المصري.

كما سلط الوزير الضوء على إعادة هيكلة قطاع التعدين وتطبيق حزمة من الحوافز الاستثمارية والإصلاحات الهيكلية، بما فى ذلك تنفيذ برنامج وطنى للمسح الجوى الجيوفيزيائي، بهدف تحويل مصر إلى واحدة من أفضل الوجهات الاستثمارية فى صناعة التعدين فى أفريقيا والشرق الأوسط لجذب الشركات العالمية بمختلف أحجامها، والاستفادة من المخزونات التى تزخر بها مصر من الذهب والمعادن النادرة.

وفى الختام، وجه الوزير الشكر والتقدير للرئيس عبدالفتاح السيسى ورئيس مجلس الوزراء، لدعمهما لجهود قطاعى البترول والتعدين، كما أشاد بالتكامل بين مختلف الوزارات وأجهزة الدولة، وبدور مؤسسة الأهرام العريقة فى دعم قضايا الشأن العام ومن بينها الطاقة، موجهاً التحية للعاملين بقطاعى البترول والتعدين على جهودهم المخلصة والتفانى فى العمل لتوفير إمدادات الطاقة للمواطنين.

كتبت – آمال عبدالله

حدث فى جمهوريات الموز!

أتاحت لى ظروف عملى أن أتابع عن قرب تطورات التحول الديمقراطى فى أمريكا اللاتينية، من خلال انسحاب حكم زمرة الجنرالات التى سادت وتسببت فى اللقب الذى أطلق على دولها "جمهوريات الموز"، ولقد قمت بإجراء دراسات مختلفة عن ذلك، ولكننى اليوم أريد أن أركز على تجارب ثلاث لحكم الجنرالات فى ثلاث دول هامة هى الأرجنتين وتشيلى والبرازيل.

١. الارجنتين:

بعد انتهاء حكم " الجونتا " العسكرية فى الأرجنتين، حاول راؤول ألفونسين أول رئيس مدنى أن يطبق " حكم النبى سليمان " (حين قضى بين امرأتين تنازعتا طفلا أمامه، فقد أمر بسيف كى يقسم الطفل بينهما، فوافقت امرأة بينما صرخت الأخرى رافضة وهى تستعطفه أن يبقى على حياة الطفل ويعطيه للمرأة الأخري، وهنا عرف سليمان من هى الأم الحقيقية)..

ولكن راؤول لم يكن سليمان، ولم تكن الأرجنتين هى ميدان "مايو" أمام قصر الحكم، فى ثلوج الشتاء وأفران الصيف يهتفن بأسماء أبنائهن الذين أختطفهم النظام العسكرى وألقى بهم فى النهر أو دفنهم فى الصحاري.. أن خيار سليمان الأول بلا شك يؤكد بدء عهد جديد يسود فيه العدل ولا يفلت مجرم من العقاب..

وبالفعل تم إلقاء القبض على قيادات المجلس العسكرى الذى حكم الأرجنتين، وصدرت أحكام متعددة عليهم.

إلا أن المدن الأرجنتينية عانت من إنفجارات متتالية لم يشك أحد فى أن مصدرها هو من صغار الضباط فى أجهزة الأمن والجيش الأرجنتيني، وكانت الرسالة واضحة:"لن تنعم الأرجنتين بالإستقرار إذا استمر ألفونسين فى عملية العدالة الإنتقالية"..

وكان على ألفونسين أن يراجع نفسه، وكم كانت المراجعة مؤلمة على رجل يؤمن بالحكم الدستورى ودولة القانون.. لكنه فى النهاية أضطر للتراجع عن بعض مقتضيات العدالة حفاظاً على الدولة، وتأميناً للإجراءات الحثيثة التى كان قد بدأها لإعادة الحياة الديمقراطية وإنعاش الإقتصاد الأرجنتيني.. وربما طبق فى هذه الحالة "حكمة سليمان" وإن لم يكن "قضاءه"!..

وقد ظل الرئيس الأرجنتينى متردداً ما بين الأخذ بمقتضيات العدالة ومطاردة الجناة، وبين الحفاظ على مكتسبات الحياة الديمقراطية التى يتمتع بها الأرجنتينيون بعد سنوات سوداء من الحكم الشمولى الإستبدادى للجونتا العسكرية، حتى سلم الرئاسة لخلفه كارلوس منعم عام ١٩٨٩، وهو الرئيس الذى حسم الأمر بإصدار عفو شامل عن كل القيادات العسكرية سواء تلك التى صدرت ضدها أحكام أو تلك التى لا زالت فى المحاكم..

أى أن "منعم" – ربما بجيناته الأصلية الشرق أوسطية – اختار أن يسلم الطفل لمن يعرف الجميع أنها ليست الأم، وهو فى هذه الحالة لم يطبق لا قضاء ولا حكمة سليمان، وإنما حكمة البراجماتية السياسية الإنتهازية..

إلا أنه بإنتخاب الرئيس نستور كيشنر عام ٢٠٠٥، أصدرت المحكمة العليا قراراً بعدم دستورية العفو الذى تم لجرائم العسكريين فى الحكم، وأعيدت محاكمات القيادات العسكرية مرة أخري، وكان أغلب من بقى على قيد الحياة من تلك القيادات قد أشرف على الثمانين، وهكذا صدر حكم على قائد الإنقلاب العسكرى خورخى فيديلا والذى حكم الأرجنتين حتى عام ١٩٨١، حيث صدر ضده حكم بالسجن لمدة ٢٥ عاماً، رغم أن عمره وقت صدور الحكم كان ٨٥ عاماً (مات فى سجنه عام ٢٠١٣) ..

ولم يكن لدى قيادات وضباط الجيش أى اعتراض لأن زمنا طويلا كان قد مضي، ولم يعد هناك من لا يزال يشعر بالولاء لهؤلاء القادة المجرمين الذين انتهكوا كل حقوق الشعب الأرجنتينى وساموه صنوف العذاب، مثل خطف المعارضين وإخفائهم وقتلهم، وتهديدهم بقتل أطفالهم الرضع، وإغتصاب نسائهم.. إلخ ..

وكان الدفاع الوحيد الذى تمسك به هؤلاء القتلة، هو أنهم أرادوا حماية شعب الأرجنتين من الشيوعية، بهدف تحقيق الإستقرار والتقدم.. والحقيقة التى كشف عنها تاريخ هؤلاء السفاحين هى أنهم فشلوا حتى فى الوظيفة العسكرية التى تدربوا عليها، عندما قامت القوات البريطانية بإذلال قوات الجيش الأرجنتينى فى جزر المالفيناز (الفوكلاند)، وأجبروهم على الانسحاب بملابسهم الداخلية!!

٢. تشيلي:

هذا البلد الجميل الراقى والذى كان مفخرة القارة اللاتينية فى الديمقراطية وتداول السلطة، تعرض لمؤامرة رهيبة شاركت فيها المخابرات الأمريكية، والداهية كيسنجر، بهدف إلغاء ما أسفرت عنه صناديق الانتخاب وفوز اليسارى سلفادور الليندى بالرئاسة .. وبعد عمليات إغتيال وحصار إقتصادي، تم تحريك بعض الجنرالات الذين كانوا على قوائم أجور المخابرات المركزية الأمريكية، فقاموا بالانقلاب على الرئيس واغتياله فى قصر الرئاسة لأنه قرر المقاومة.. وعاشت تشيلى بعد ذلك أسوأ سنوات تاريخها ..

وقد تزعم الانقلاب الجنرال أوجستو بينوشيه، الذى ولد يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٥، وعاش طويلا حتى مات فى ١٠ ديسمبر ٢٠٠٦ عن عمر يناهز ٩١ عاماً، وقد حكم تشيلى منذ الإنقلاب العسكرى عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٩٠، وقد كانت فترة حكمه مثالاً للإرهاب والقمع السياسي، فقد تم قتل وتعذيب آلاف المعارضين، وكانت الممارسات تجاه المعتقلين غاية فى الوحشية.

فى عام ١٩٨٠ تم إقرار دستور جديد لتشيلى بحيث يطبق نظام الاستفتاء على مرشح واحد للرئاسة، إلا أن المعارضة السياسية للنظام كانت فى تصاعد مستمر، مما أدى إلى أن البرلمان التشيلى رفض عام ١٩٨٨ أن يمنح بينوشيه حق حكم البلاد مدى الحياة، ومع ذلك ظل الرجل القوى مسيطراً على مقاليد السلطة والثروة من خلال طبقة من الإنتهازيين، فضلاً عن نفوذه الواسع بالطبع فى المؤسسة العسكرية.

إلا أن استمرار ضغوط المعارضة والإنتقادات الدولية أجبرته أن يسلم الحكم للرئيس المنتخب باتريسيو ايولين عام ١٩٨٩، دون أن يتخلى عن منصبه كقائد للجيش التشيلى حتى عام ١٩٩٠،

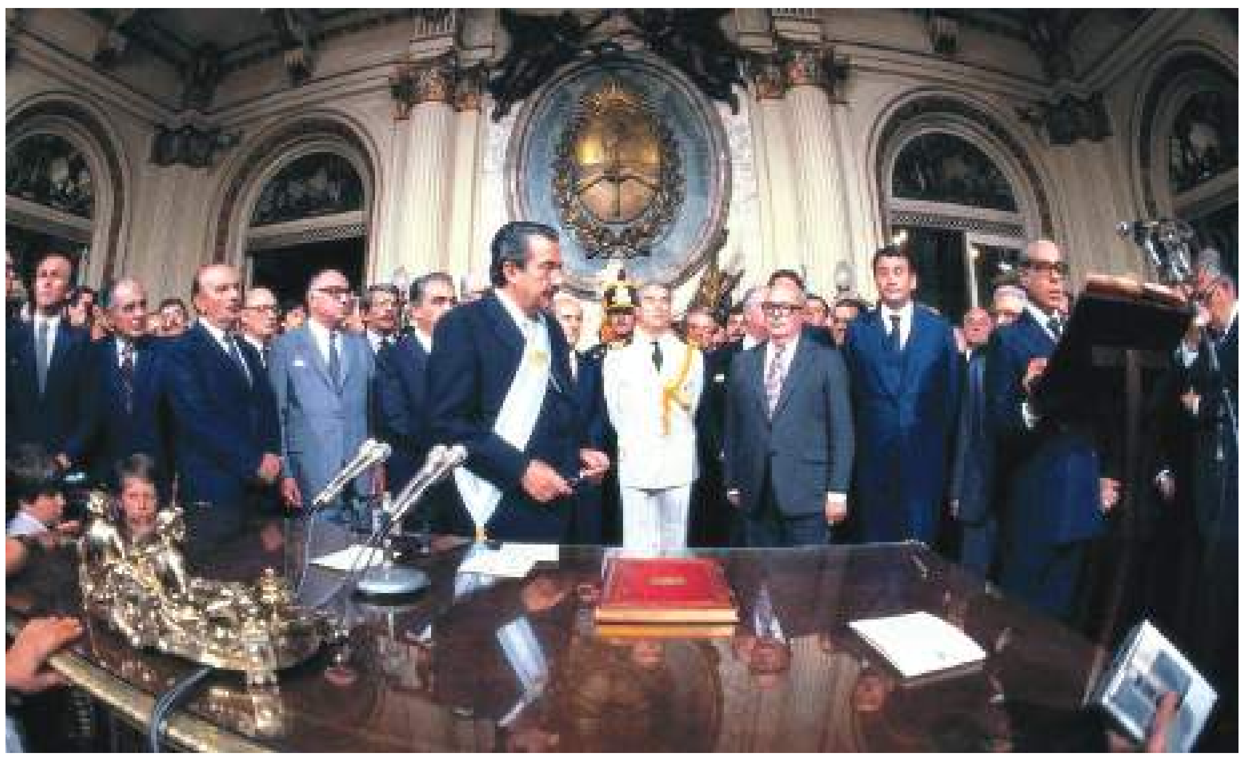

حفل التنصيب الرئاسي لراؤول ألفونسين، ١٩٨٣

معرض للمختفين قسريا في الارجنتين

وبعد ذلك أصبح نائباً فى مجلس الشيوخ طبقاً للتعديلات الدستورية التى تمت عام ١٩٨٠ كى يظل متمتعاً بحصانة تحول دون محاكمته على جرائمه.

وهكذا كان القاضى الذى اختار "حكم سليمان" فى تشيلى هو الشعب نفسه، رغم المظاهرات التى قام بها "يتامى بينوشيه" ودموعهم الهتون على البطل القومى العظيم الذى أنقذ البلاد من الشيوعية، وحافظ على الاستقرار وحقق "المعجزات" الإقتصادية!!..

وفى عام ٢٠٠٢ وأثناء رحلة علاج فى بريطانيا، تم اعتقال بينوشيه الرهيب من خلال تفويض قضائى أصدره أحد القضاة الأسبان، وظل الرجل رهن الإقامة الجبرية فى بريطانيا لمدة عام، وهو يشعر بالذهول من مشاعر مواطنيه الذين فرحوا لما ناله.

لا بد أن الجنرال غضب أشد الغضب على إنعدام الوفاء لدى الشعب الذى عذبه وخوّفه وقتل أبناءه لسنوات طوال.. ولأن القضاء بشكل عام يتميز بالنزاهة والعدل، فقد تم إطلاق سراحة لأسباب طبية، ولا بد أنه اندهش مرة أخرى من غباء القضاء الذى أطلق سراحه رغم جرائمه الثابتة..

لكنه عاد فى النهاية إلى تشيلي، كى يتم خلعه أيضاً من مقعده البرلماني، وبعد قرار من المحكمة العليا بأنه يعانى من الخرف والشيخوخة ولا يمكن بالتالى أن يُحاكم لأفعاله، وهو ما تأكد فى مايو ٢٠٠٤ عندما حكمت المحكمة العليا أنه لا يتحمل المحاكمة نظراً لشيخوخته.

كتب عليه أن يعيش مطاردا بشبح الليندى وآلاف الضحايا ، وأن يموت حزينا منكسر القلب ، دون أن يفهم كيف انقلب عليه شعب تشيلى الذى كان يهتف بحياته فى كل مكان.

بقلم: معصوم مرزوق
* مساعد وزير الخارجية المصرى الأسبق

هل تدعم الحكومة المصرية قطاع الصحافة والإعلام؟

في حلقات سابقة من هذه الدراسة الميدانية عن أحوال الصحافة وأجور الصحفيين في مصر، رسمنا خريطة قاسية لوضع المهنة؛ إذ رأينا كيف انزلقت دخول آلاف الصحفيين تحت خطّ الفقر، وكيف يساوي ما يتقاضاه الصحفي الأمريكي في شهر واحد تقريبًا ما يحصل عليه نظيره المصري في عدة سنوات كاملة.

وفي الحلقة الأخيرة خرجنا إلى تجارب الدول المتقدمة، فوجدنا أن هذه الدول لا تنظر إلى الإعلام بوصفه عبئًا على الموازنة، بل استثمارًا في «الأمن المعرفي» للمجتمع، دعمٌ مالي مباشر بمئات الملايين من الدولارات، وإعفاءات ضريبية وجمركية، وبيئة تشريعية واستثمارية حاضنة، وبرامج خاصة لحماية الصحافة المحلية والوظائف الصحفية وتطوير المهارات المهنية.

وفي حلقة اليوم يبرز السؤال الأكثر إلحاحًا في السياق المصري: هل تدعم الحكومة المصرية قطاع الصحافة والإعلام؟

الإجابة الحقيقية: نعم تدعم الحكومة المصرية قطاع الإعلام، وهناك مليارات تُضخ سنويًا في هذا القطاع، لكنّها «نعم» مثقلة بعلامات الاستفهام؛ لأن طريقة تصميم هذا الدعم وتوزيعه وإنفاقه لا تعبّر عن رؤية تنموية أو استثمارية بقدر ما تعكس إدارةَ «أزمة مزمنة» ومحاولات متكرّرة لإبقاءِ سفينة مثقلة بالديون والخسائر طافية فوق سطح الماء.

الأرقام الرسمية المخصصة لعملية الدعم تكشف الخلل البنيوي بوضوح، فالدعم المباشر المخصّص للهيئة الوطنية للصحافة في الموازنة العامة للدولة يتراوح في السنوات الأخيرة بين نحو ٣٣١ و٤٨٢ مليون جنيه سنويًا، بينما يقفز باب «الدعم والمنح والمزايا الاجتماعية» وحده في موازنة ٢٠٢٤/٢٠٢٣ إلى نحو ٥٥٢,٥ مليون جنيه بعد أن كان ٤٤٢,٤ مليونًا في ٢٠٢٣/٢٠٢٢، في حين لا تتجاوز مخصصات الأجور المباشرة للعاملين بالهيئة نفسها ٢٤,٣٦ مليون جنيه فقط.

وفي العام المالي ٢٠٢٣/٢٠٢٢ عزّزت وزارة المالية بند «معالجة مشكلات المؤسسات الصحفية» بمبلغ إضافي قدره ٧٢٤ مليون جنيه فوق الموازنة الأصلية، ثم جاء مشروع موازنة ٢٠٢٤/٢٠٢٣ ليخصّص ١٥٠ مليون جنيه فقط لهذا البند، قبل أن تنتهي مناقشات لجنة الخطة والموازنة إلى رفعه إلى ٩١٠ ملايين جنيه حتى تتمكن المؤسسات القومية من سداد التزاماتها الأساسية.

هذه الأرقام تكشف بوضوح أن جانبًا كبيرًا من الدعم يذهب إلى مسارين لا ثالث لهما وهما، إما مصروفات تشغيلية لضمان استمرار دورة العمل اليومية، أو سداد التزامات متراكمة وسدّ فجوات عاجلة، لا إلى تمويل خطة إصلاح حقيقية أو تحديث هيكلي للمؤسسات أو تحسين مباشر لأجور الصحفيين وظروف عملهم، أو ضخ دماء جديدة في شرايين المؤسسات القومية التي شاخت واصابها الوهن بعد وقف التعيينات فيها لأكثر من عقد كامل.

اختلال في توزيع الدعم

إننا أمام دعم عقيم لا يُنجب «إبداعاً»، دعم يطفئ الحرائق ولا يبني بيتًا جديدًا؛ دعم «مُسكّن» وليس «علاجاً» لمرض مزمن ينهش في جسد مهنة، يؤثر تدهور صحتها في صحة الأمن القومي للبلاد، دعم تقف في مواجهته جبال من الديون والخسائر؛ حيث بلغت ديون المؤسسات الصحفية القومية نحو ١٣,٩ مليار جنيه حتى أغسطس ٢٠٢٠ وفق بيانات الهيئة الوطنية للصحافة، بينما قدّرها تقرير وزارة الإعلام في ٢٠٢٠ بنحو ٢٢ مليار جنيه، في حين سجّلت الهيئة الوطنية للإعلام خسائر متراكمة تقارب ٧١,٥ مليار جنيه حتى نهاية العام المالي ٢٠٢١/٢٠٢٠.

معنى ذلك أن مليارات الدعم لا تُضَخّ في شرايين «النمو والتطوير» بل تُنفق أساسًا على خدمة ديون تاريخية وسدّ عجز بين الإيرادات والمصروفات، في مؤسسات لم تخضع بعدُ لجراحة إصلاح شاملة في الهياكل والإدارة ونماذج الأعمال.

يضاف إلى ذلك اختلال واضح في خريطة توزيع الدعم؛ فالإعلام الحكومي المرئي، متمثلًا في مبنى ماسبيرو والهيئة الوطنية للإعلام، يلتهم النصيب الأكبر من كعكة التمويل العام، بينما تتقاسم الصحف القومية ما تبقّى، وتُحرَم الصحف الحزبية والمستقلة بشكل كامل، من كافة اشكال الدعم، سواء كان في صورة مخصصات مالية مباشرة، أو إعفاءات ضريبية واضحة، أو حملات إعلانية حكومية موزعة بعدالة وشفافية.

هل تدعم الدولة المصرية الصحفيين؟ الإجابة حاسمة وواضحة: «نعم».. ولكن!!

نعم، هناك دعمٌ حكوميٌّ للصحفيين تحت بند «بدل التدريب والتكنولوجيا» يُصرف شهريًا، وقد وُلد في الأصل كأداة نبيلة لتطوير المهنة، وتحديث مهارات الصحفيين، وربطهم بالعصر الرقمي، وحمايتهم من هشاشة سوق العمل، وكان تأسيسه وفلسفته أن يكون مستقلاً عن أجور الصحفيين، وبعيداً عن أيدي المسؤولين في الصحف القومية والحزبية والمستقلة، وألا يكون مكملاً لرواتب الصحفيين، وأن يكون منحة من الدولة لتدريب وتطوير الصحفيين.

إلا أنّ هذا البدل، حين غاب معه تطبيق قانون العمل وقانون الصحافة، وتراخت يدُ الدولة في مراقبة التزام المؤسسات الصحفية بأجور الصحفيين والحدّ الأدنى للأجور، تحوّل من وسيلة للنهوض بالمهنة إلى أداة لتدميرها؛ وبوّابة خلفية للاسترزاق. وبات «البدل» سيفاً مُسلّطاً على رقاب الصحفيين المهنيين، ووسيلة لابتزازهم وإجبارهم على العمل بلا راتب مقابل استمرار صرف «البدل»، بينما تحوّلَ في المقابل إلى غنيمةٍ لتجّار وسماسرة «البدل»!

وتحت مظلة هذا الغياب الرقابي، ابتكرت مؤسساتٌ صحفية حيَلًا فَجّة للاستيلاء على البدل كليًا أو جزئيًا؛ فبعض المؤسسات القومية قامت بإدراج البدل ضمن هيكل الأجور لتضخيم «شكل» مرتب الصحفي على الورق، والالتفاف على الحدّ الأدنى للأجور، وجعلت البدل «مُكمّلًا» للحدّ الأدنى بدلًا من أن يكون إضافة مستقلةً للتطوير.

وليس هذا فحسب، بل إن بعض المؤسسات فرضت على «البدل» رسومًا تُستقطع بكل «بجاحة» من قوت الصحفيين لصالح المؤسسة؛ وهي ممارسة لا يمكن وصفها إلا بأنها خطأ مالي وإداري وقانوني جسيم، لأن البدل منحة خارج نطاق الأجور، ولا يجوز تحميله على بند المرتبات أو احتسابه جزءًا من الراتب المستحق.

وفي بعض الصحف المستقلة والحزبية، بلغ العبث ذروته بتحويل «البدل» إلى راتب بديل كامل؛ فحجبت الأجور بشكل كاملٌ أو فُرّغته من مضمونها، واكتفت تلك المؤسسات بصرف مرتباتٍ شكليةٍ تتراوح بين ١٠٠٠ و٣٠٠٠ جنيه.

والأسوأ أن مؤسسات أخرى دفعت صحفيين للعمل بلا رواتبٍ ولا تأمينات ولا مكافآت، مقابل استمرار صرف «البدل»؛ وكأن الصحفي مطلوبٌ منه أن يكتب ويُحقّق ويُخاطر، ثم يُكافأ على ذلك بالحدّ الأدنى من البقاء لا بالحدّ الأدنى من العدالة.

هكذا تحول «بدل التدريب والتكنولوجيا» من كونه بندًا للتطوير إلى «رغيف يومي» و«مورد إعاشة» وأحيانًا وسيلة مهينة لاستبقاء الصحفي في حالة ولاء اضطراري، حتى بات لدينا قطاع واسع من الصحفيين لا يعيش إلا على هذا البدل، وقطاع آخر لا يحصل على بدل ولا راتب معًا، كما كشفت الدراسة الصادمة التي نشرناها في حلقتها الأولى، والتي كشفت أن هناك ١٩٪ من الصحفيين يتقاضون رواتب تقل عن ٣٠٠٠ جنيه شهريًا، ونحو ٤٠٪ لا تتجاوز أجورهم خمسة آلاف جنيه، و٢٠٪ يعملون كامل الوقت بلا أجر نظير البدل طبقًا لقانون «السُخرة» وهناك ١٥٪ عاطلون عن العمل أصلًا؛ ووسط هذا المشهد هناك ٨٤٪ من الصحفيين أجورهم لا تكفل لهم حياة كريمة، بينما كشفت الدراسة أن ٢٪ فقط من الصحفيين يتقاضون رواتب «كافية»، بينما هناك أكثر من ٤٣٪ من الصحفيين يغادرون بلا مكافأة نهاية خدمة

هذه الأرقام تكشف حتمية التدجل السريع والحاسم لإعادة هيكلة أجور الصحفيين بشكل عام.

الصحفيون ضمير مصر الحي يغرفون في أزماتعم المالية

بقلم: د. حماد الرمحي
عضو مجلس إدارة صندوق التكافل بنقابة الصحفيين

انتباه

حرب قبائل على الفيسبوك

محمد حماد

لم يعد الانقسام بين الناس مجرد اختلاف في الرأي أو تباين في المواقف، بل تحول إلى ظاهرة يومية تُدار على ساحات التواصل الاجتماعي كأنها ساحات حرب مفتوحة.

كل شأن، مهما بدا صغيرًا، قابل لأن يتحول إلى معركة، وكل قضية، مهما كانت هامشية، تُستنزف في جدل لا ينتهي.

هنا لا نرى مجتمعًا يناقش نفسه، بل قبائل رقمية تتناحر بلا أرض ولا حدود، كأن مصر والعرب جميعًا قد توزعوا بين غرف صدى مغلقة، كل غرفة تصرخ وحدها ولا تسمع غير نفسها.

هذه ليست صدفة عابرة، ولا مجرد انعكاس طبيعي لاختلاف الآراء؛ إنها علامة على تحول عميق في بنية المجال العام.

انتقلت السلطة من الصحف والبرامج إلى الخوارزميات، ومن المؤسسات إلى المنصات، ومن الحوار إلى الاستقطاب. ومع هذا التحول تضاعفت سرعة انتشار الترهات، وضعفت ذاكرة النقاش، فصار التوافق حدثًا نادرًا، والانقسام مادة يومية قابلة لإعادة التدوير بلا نهاية.

لم يدخل العرب هذه الساحات بصفحة بيضاء. حملوا معهم تاريخًا طويلًا من الاستقطابات الفكرية والسياسية.

ما كان يومًا خلافًا بين قوميين وإسلاميين وليبراليين ويساريين، على مشاريع ورؤى وسياقات، صار اليوم معارك افتراضية تُدار بلا ذاكرة ولا عمق. في الماضي كان الخلاف يدور حول برنامج أو تصور للمستقبل، أما الآن فقد اختُزل إلى صراع على «الترند»، حيث تُستبدل الفكرة بالصورة، والبرنامج بالشعار، والسياسة بانفعال لحظي لا يعيش أكثر من ساعات.

ومع ذلك، لا يمكن اعتبار ما يجري طبيعيًا بالكامل.

فهناك يد تُدير وتُضخّم. جيوش إلكترونية منظمة، وغرف عمليات رقمية، ومصالح دولية وإقليمية، تستثمر جميعها في تغذية الانقسام، لأن المجتمع الممزق أضعف من أن يواجه تحدياته الكبرى. الاختلاف طبيعي، بل ضروري، لكن المصنّع هو تحويله إلى حالة شلل عام، تُفقد الثقة وتُعطّل القدرة على بناء موقف جماعي.

في مصر يبدو المشهد أكثر وضوحًا.

حين يضيق المجال العام التقليدي، يهرب الرأي إلى الفضاء الرقمي، لكنه يصل إليه بلا مؤسسات تحمي جودة النقاش أو تضبط إيقاعه. فتتقدم الضجة على المعنى، ويحل المؤثر محل المفكر، وتتحول السياسة إلى مزاج متقلب. هذا الفراغ المؤسسي يجعل الانقسام الرقمي يبدو كأنه القبيلة الجديدة، حيث تعيش كل مجموعة داخل غرفة صدى خاصة، لا ترى إلا ما يوافقها، ولا تسمع إلا صوتها.

هنا يلتقي الانقسام الرقمي مع معركة الوعي ضد التطبيع. فالصراع لم يعد على الأرض وحدها، بل على تعريف الواقع ذاته. حين تُفتّت المنصات الجماعات إلى جزر معزولة، تضعف القدرة على بناء موقف جمعي طويل النفس، وتتحول المقاومة إلى حملات خاطفة بلا استراتيجية.

بهذا المعنى، يخدم الانقسام مشاريع الهيمنة أكثر مما يخدم مصالح العرب، لأنه يستهلك طاقتنا في صراعات داخلية ويمنعنا من صياغة رؤية مشتركة.

الانقسام الرقمي الذي نعيشه اليوم ليس قدرًا محتومًا، بل صناعة تُغذّيها الخوارزميات وتستثمر فيها قوى ترى في ضعفنا فرصة لتمرير مشاريعها.

لكن التاريخ يعلّمنا أن الشعوب لا تُهزم بالانقسام وحده، بل حين تفقد القدرة على تحويل اختلافها إلى طاقة بناء. الخروج من القبائل الافتراضية يبدأ باستعادة المعنى، وإعادة الاعتبار لمؤسسات تحمي النقاش، وتحويل الغضب إلى برنامج، والوعي إلى فعل.

ويبقى الدور الحاسم للمتفاعلين أنفسهم.

فهم ليسوا متفرجين، بل المادة الخام التي تُغذّي المنصات. كل تعليق، وكل مشاركة، وكل إعادة نشر، طاقة قد تُحوّل الخلاف إلى معركة.

المطلوب أن يتحولوا من وقود للانقسام إلى وعي يواجهه: أن يتحققوا قبل التفاعل، وأن يديروا غضبهم بدل إطلاقه في شتائم متبادلة، وأن يكسروا غرف الصدى بقراءة المختلف، وأن يُنتجوا محتوى بديلًا يفتح أفقًا جديدًا.

والأهم أن يُحوّلوا التفاعل الرقمي إلى فعل جماعي في الواقع، عبر ورش قراءة وحملات توعية ومشاريع مدنية. عندها يصبح التفاعل بداية لا نهاية، ويستعيد الفضاء الرقمي وظيفته الطبيعية: ساحة للنقاش، لا ساحة للتمزق.

التعيين عبر الصندوق: لعبة المال والسياسة فى انتخابات الاتحادات الرياضية

أشرف صبحى تحدّث عن نتائج انتخابات اللجنة الأوليمبية قبل أن تتم بصورة رسمية، وقبل إعلان رئيس لجنة الانتخابات فوز ياسر إدريس وقائمته بالتزكية

فى هذا التحقيق ننفرد بأوراق ومستندات وأرقام وصور وحكايات تُنشر لأول مرة عن أسرار وكواليس الجمعيات العمومية، وما جرى فى انتخابات الاتحادات على مدار أكثر من شهر، ونكشف عن تفاصيل ميزانيات هذه الاتحادات والقوائم المالية والمصروفات والإيرادات والأرقام الفضيحة لأعداد الممارسين والمسجلين فى هذه الألعاب.

كشفنا فى وقت سابق الاجتماعات التى سبقت الجمعية العمومية للجبلاية، فى أحد فنادق مدينة ٦ أكتوبر (موفنبيك) وفى مدينة الزهور وصدمة البطل الأوليمبى هشام مصباح عندما علم بتوزيع تليفونات آيفون ١٦هدايا على بعض مندوبى الأندية من مرشحين.. وأن هناك تسعيرة للصوت فى بعض الاتحادات.. تختلف من اتحاد إلى آخر ومن الألعاب الفردية إلى الجماعية.. وأنها وصلت فى اتحاد لا يتمتع بقاعدة جماهيرية إلى ٣٠ ألف جنيه.

من أجل عيون وزير الشباب والرياضة .. تظبيط مواعيد جمعيتين عموميتين ليحضرهما ويتمكن من حضور افتتاح بطولة العالم للجمباز الفني

كما تناولت حضور وفد من تنسيقية شباب الأحزاب فى انتخابات اتحاد الريشة الطائرة والتى أعقبها فوز هادية حسنى عضو مجلس النواب عن تنسيقية شباب الأحزاب والسياسيين وخريجة البرنامج الرئاسى لتأهيل الشباب للقيادة.. لتصبح أول سيدة تتولى هذا المنصب فى تاريخ اللعبة، وصدمة عايدة إسماعيل الكبيرة بحصولها على ١٣ صوتا فقط فى انتخابات اتحاد الكرة الطائرة.. لدرجة أنها لم تغادر الصالة مثل الآخرين.. ولم تهدأ إلا بعد استجابة الهيئة المشرفة على الانتخابات لطلبها برؤية عدد من استمارات التصويت للتأكد من صحة الرقم الذى حصلت عليه.. ورصدنا بالصور عايدة وهى تراجع بعض الاستمارات مع أحمد عبدالعليم ممثل اللجنة الأوليمبية وذلك أثناء فرز أصوات العضوية.

تناولنا أيضا أحد سماسرة الانتخابات وهو يتحدث عن الخيانة فى الهوكى ، وأحد مرشحى رئاسة اتحاد قرأ الفاتحة مع الأندية.. وحصل على صفر فى النهاية وعضو اتحاد الكرة الذى ينفرد بنتيجة الاسكواش قبل تصويت الأندية ويتابعها من خلف الأبواب، وتقصينا لماذا تم وصف انتخابات السباحة بالمؤامرة والاسكواش بالشطرنج والملاكمة بالقاضية؟ وعبارة الدمرداش لأبوزيد: كل ما تريده تم تنفيذه يا دكتور !! وعضو مجلس إدارة خالف تعليمات ناديه لتأمين مستقبله بعد المعاش ومندوب ربط صوته بتعيين نجله مديرًا للمنتخبات.. وآخر يخرج من السجن للإدلاء بصوته وكذلك حكاية٤٢ صوتًا باطلا فى انتخابات الكاراتيه.. وإعلان فى جريدة الجمهورية كشف ألاعيب الانتخابات، وكيف كان صوت الشمس وراء سقوط ابن شقيق حسن حمدى فى الرماية، إضافة إلى تهديد أندية فى الإسكندرية والقاهرة بتحويل مخالفاتها المالية للنيابة العامة لتغيير وجهة الصوت.

الأغنياء والفقراء فى الانتخابات

باستثناء انتخابات اتحاد كرة القدم والجولف والشطرنج.. أقيمت انتخابات كل الاتحادات فى مجمع استاد القاهرة.. الاتحادات الغنية إقامتها فى الصالة الرئيسية باللجنة الأوليمبية والاتحادات الأخرى ذهبت للصالة رقم ١ فى مبنى الاتحادات.. والتى تعانى أو الفقيرة إقامتها فى الصالة الصغرى أو فى مقر الاتحاد وبالتحديد فى غرفة اجتماع مجلس الإدارة مثل المصارعة والكاياك والكانوى والثلاثي.

والأمر الثابت فى كل الجمعيات العمومية.. كان المنصة الرئيسية التى تدير العملية الانتخابية من هيئات قضائية وموظفين من اللجنة الأوليمبية ووزارة الشباب والرياضة.

وهذا كشف بأعضاء اللجنة.. المستشار محمد عمر أحمد رئيس هيئة قضايا الدولة تولى رئاسة لجنة الانتخابات ومعه المستشار أحمد سعد عبدالعاطى نائب رئيس هيئة قضايا الدولة (يحضر أحدهما) بالإضافة إلى محمد الأسيوطى المستشار القانونى للجنة الأوليمبية، وأيضًا لعدد من الاتحادات ومعه أحمد عبدالعليم وعبدالأول محمد عبدالرحيم ومحمد سالم مندوبين من اللجنة الأوليمبية، وأحمد مختار إبراهيم ومحمود جمال من وزارة الشباب والرياضة والمستشار محمد الدمرداش رئيس نادى الزهور بصفته رئيسًا للجنة الأندية.. وينضم للمنصة فى البداية رئيس الاتحاد الحالى ومراقب الحسابات لإدارة جدول أعمال الجمعية العمومية ويحل مكانهما اثنان من مندوبى الأندية قبل بدء الانتخابات للمتابعة والمراقبة.

وفى معظم الجمعيات العمومية للاتحادات وحتى اللجنة الأوليمبية.. يجلس مندوبو الأندية على أطراف المنصة وهو ما رفضه بشدة مندوب أحد أندية السويس فى انتخابات الدراجات. ودخل فى مشادة مع مسؤولى الوزارة واللجنة، وأصر على الجلوس بجانب رئيس لجنة الانتخابات، حتى يقوم بعمله بشكل سليم، ولا يكون مجرد ديكور لإكمال الصورة.. وتحقق له ما أراد.

وفى معظم الجمعيات العمومية.. لم يكن رئيس لجنة الانتخابات هو الذى ينادى على مندوبى الأندية للحضور إلى المنصة للحصول على بطاقة التصويت (المختومة بشعار الاتحاد وأيضًا شعار اللجنة الأوليمبية) ثم الإدلاء بالصوت خلف الستار، وإنما المستشار محمد الأسيوطى رئيس اللجنة القانونية باللجنة الأوليمبية هو من يفعل ليس فقط بسبب صوته القوي، وإنما محاولة لفرض نفسه فى الصورة.

وننفرد بصور من الجمعيات العمومية للعديد من الاتحادات تمثل كل مراحلها من البداية إلى النهاية، وخاصة أثناء عملية فرز الأصوات وإعلان النتيجة وصور من محاضر فتح وإغلاق صناديق الانتخابات وأوراق تسجيل الأصوات والانفراد الأهم هو صور من بطاقات التصويت لعدد من الاتحادات مثل الكاراتيه والجودو والمصارعة والملاكمة.

تصوير بطاقة التصويت

الطريف أنه خلال عملية التصويت فى اتحاد الدراجات طلب مندوب نادى من رئيس لجنة الانتخابات العودة من خلف الستار إلى مكانه بين أعضاء الجمعية العمومية لإحضار هاتفه الخاص.. وعندما سأله رئيس اللجنة عن السبب قال إنه سجل عليه أسماء المرشحين، ووقتها سرت همسات وضحكات بين الحضور ومن على المنصة.. فالكل كان على ثقة من أنه يريد تصوير بطاقة التصويت.. ربما من أجل أن يطلع عليها رئيس ومجلس إدارة ناديه أو المرشح الذى اتفق معه على منح صوت ناديه.

ونكشف أن الدكتور أشرف صبحى تابع الانتخابات فى معظم الاتحادات لحظة بلحظة.. لحد أنه كان يقوم بتهنئة الرئيس الفائز بعد إعلان النتيجة مباشرة، وذلك عن طريق رجال الوزارة فى لجنة الانتخابات، وبالتحديد أكثر بواسطة الدكتور أحمد مختار إبراهيم.. من خلال تليفونه المحمول، حيث حدث وهنأ وزير الشباب والرياضة ياسر قمر رئيس اتحاد الطائرة وعمرو مصيلحى رئيس اتحاد السلة وآخرين.

وكان الوزير فى بعض الأحيان يتصل بالفائزين مباشرة، كما جرى مع خالد فتحى رئيس اتحاد اليد.. أو عن طريق أحد المقربين منهم، كما حدث مع محمد مطيع رئيس اتحاد الجودو، والذى فشل فى الوصول إليه عن طريق رجله فى لجنة الانتخابات فلجأ إلى الاتصال بمحمد الدمرداش رئيس نادى الزهور، والذى سارع بتليفونه إلى مطيع بعد أن أخذه إلى أحد أركان القاعة وأخبره بأن الوزير اتصل عليه ليهنئه، ولم يرد على اتصاله، وكان مصطفى الشامى رئيس بلدية المحلة ثالثهما.

ظهور الخطيب !!

كانت الجمعيات العمومية بمثابة ساحة جديدة للصراع بين الأهلى والزمالك.. فليس سرًا أن مجلس إدارة الناديين سعى إلى فرض ودعم أكبر عدد من رجالهما للنجاح فى الانتخابات.. وخرجت شائعات عن حضور محمود الخطيب رئيس الأهلى انتخابات اتحاد الكرة الطائرة لمساندة ودعم بعض المرشحين.. وهو ما نفاه النادى الأهلى.. ورغم ذلك كتب رحاب أبو رجيلة عضو مجلس إدارة الزمالك السابق عبر حسابه الشخصى بموقع التواصل الاجتماعى "فيسبوك": لما تعرف أن الكابتن الخطيب والدماطى ومهند يروحوا انتخابات الطايرة ويقفوا بره الانتخابات ويوصوا بنجاح خالد أبو زينة على منصب النائب ومنى عبدالكريم على منصب أمين الصندوق.. تعرف يعنى إيه قيمة الكوادر داخل الاتحادات.

وصحيح أن الخطيب لم يظهر فى اللجنة الأوليمبية ولا الدماطي.. وكان الدكتور مهند مجدى مندوب القلعة الحمراء فى الجمعية العمومية.. لكن الأهلى ضغط ودعّم بقوة خالد أبو زينة فى مواجهة هناء حمزة.. وكذلك منى عبدالكريم.. وانتهى بهما الأمر للتفوق فى انتخابات الطائرة.

وخلال عملية فرز الأصوات فى الطائرة.. اصطحب مهند مجدى صديقه محمد جمال هليل زميله السابق فى مجلس إدارة الأهلى المرشح على منصب العضوية فى انتخابات اليد، وقدمه للعديد من مندوبى الأندية، وجعله يتبادل أرقام التليفونات معهم، وقال إنه المرشح الأفضل ويكفى أنه خريج مدرسة القلعة الحمراء فى الإدارة!

ورد الزمالك فى انتخابات اتحاد اليد.. دعّم خالد فتحى المرشح على منصب الرئاسة فى مواجهة محمد الأمين المدعوم من الدكتور حسن مصطفى رئيس الاتحاد الدولي.. تواجد ثلث مجلس إدارة القلعة البيضاء فى مقر اللجنة الأوليمبية.. المهندس هشام نصر نائب رئيس الزمالك داخل الصالة – كمندوب – وحسام المندوه أمين الصندوق ونيرة الأحمر ورامى نصوحى وأعضاء مجلس الإدارة خارجها.

ورفض رجال أمن اللجنة الأوليمبية محاولات المندوه دخول قاعة الانتخابات حتى بعد تدخل وإلحاح صديقه حسن عابد المدير التنفيذى لاتحاد الطائرة.

ونكشف أن إدارة الزمالك دعّمت خالد فتحى بكل الوسائل.. وعقدت صفقات تبادلية مع أندية لها مرشحون فى انتخابات أخرى.. تمنحهم صوتها مقابل التصويت لفتحى فى اليد.. واعترفت نيرة الأحمر على الهواء مباشرة فى برنامج ملوك الصالات بقناة النادى بتقديم كل الدعم لأبناء القلعة البيضاء الذين يخوضون انتخابات الاتحادات ومساعدتهم فى الوصول إلى النجاح وقامت باستضافة عدد منهم للحديث عن برنامجهم الانتخابى.

وتفوق أبناء الزمالك فى العديد من الاتحادات.. ياسر إدريس فى السباحة وأشرف حلمى فى تنس الطاولة، والتى عرفت فشل محمد الماوى على منصب أمين الصندوق.. ونجح طارق السعيد رئيس جهاز السلة فى القلعة البيضاء فى مقعد العضوية، مع قائمة عمرو مصيلحى فى اتحاد السلة التى حضرها من الأهلى خالد مرتجى أمين صندوق الأهلي.

من أجل عيون الوزير !!

فى نفس اليوم (٢٥ أبريل ٢٠٢٥) الذى أقيمت فيه انتخابات اللجنة الأوليمبية..

كان هناك حدثان آخران فى مجمع استاد القاهرة.. الأول: افتتاح بطولة العالم للجمباز الفني.. والثاني: مباراة العودة بين الأهلى وصن داونز بطل جنوب أفريقيا فى الدور قبل النهائى لبطولة دورى أبطال إفريقيا.

وحتى يتمكن الدكتور أشرف صبحى من حضور المناسبات الثلاث تم تظبيط بعض المواعيد على مقاسه.

من أجل عيون وزير الشباب والرياضة.. تمت إقامة جمعيتين عموميتين للجنة الأوليمبية.. الأولى قبل صلاة الجمعة، وبالتحديد أكثر عند الساعة الحادية عشرة صباحًا.. والثانية بعد الصلاة فى الساعة الثالثة عصرًا.

الجمعية العمومية الأولى حضرها أشرف صبحى وجلس على المنصة الرئيسية بجانب ياسر إدريس رئيس اللجنة الأوليمبية والمهندس شريف العريان الأمين العام للجنة، واللواء حازم حسنى رئيس اتحاد الرماية واللواء شريف القماطى رئيس اتحاد التجديف والقائم بأعمال أمين الصندوق فى اللجنة.

وقال صبحى إن انتخابات الاتحادات الرياضية التى تابعتها الوزارة عن كثب كانت تجربة فريدة أفرزت عن وجوه جديدة وصلت إلى أكثر من ٦٦٪ من رؤساء الاتحادات وكلها أمور صحية مشرّفة للوسط الرياضي.

وأضاف: انتخابات الاتحادات واللجنة الأوليمبية هذه المرة من أفضل الانتخابات التى عاصرتها منذ أن توليت وزارة الشباب والرياضة.

والملفت والمحيّر والمثير للدهشة وعلامات الاستفهام أن أشرف صبحى تحدّث عن انتخابات اللجنة الأوليمبية قبل أن تتم بصورة رسمية، ويعلن المستشار محمد عمر رئيس لجنة الانتخابات فوز ياسر إدريس وقائمته بالتزكية وبالإجماع، فهل كان يعرف أنها مجرد ديكور وأن كل شيء تم الاتفاق عليه؟!

كانت المشكلة التى واجهت إدريس وشركاه .. أن الخطاب الذى أرسله المهندس شريف العريان الأمين العام للجنة إلى رؤساء الاتحادات لحضور اجتماع الجمعية العمومية العادية ومناقشة بنودها السبعة حدد الساعة الثالثة مساءً كموعد لها.. وفى نفس التوقيت تقريبًا ينطلق حفل افتتاح بطولة كأس العالم للجمباز الفنى رجال وآنسات فى الصالة المغطاة رقم١.. والوزير لا يريد أن يفوّت حفل الافتتاح ويرغب فى الوقت ذاته فى حضور العمومية للجنة الأوليمبية.. فتم تجهيز جمعية مخصوصة له قبل صلاة الجمعة فى سابقة لم تحدث من قبل، وربما لن تحدث مرة أخرى.

وخوفًا من حدوث أى طعن قد يفسد انتخابات اللجنة الأوليمبية المحسومة نتائجها مسبقًا ومن شهور.. تمت إقامة الجمعية العمومية فى موعدها المحدد الذى أرسله العريان إلى رؤساء الاتحادات.

وفى هذه المرة حضرت الهيئة المشرفة على الانتخابات.. وجلس على المنصة الرئيسية إدريس وحازم حسنى والعريان بالإضافة إلى هانى أبوريدة رئيس اتحاد الكرة ومصطفى أبوزهرة عضو الجبلاية والبطلة آية مدنى العضو الدائم للجنة الأوليمبية ومحمد الأسيوطى المستشار القانونى للجنة.

وانتهى ياسر إدريس من البنود السبعة فى جدول الأعمال خلال أقل من خمس دقائق وأخذ وقتًا أكبر فى الحديث عن إضافة لجان شرفية للجنة الأوليمبية، وفى مقدمتها لجنة الحكماء، والتى تضم الدكتور كمال درويش وأحمد ناصر رئيس اتحاد الترايثلون وإسماعيل الشافعى رئيس اتحاد التنس وهانى أبوريدة رئيس اتحاد كرة القدم.

بالمستندات والصور.. أسرار وكواليس الجمعيات العمومية

مندوب نادى يطلب من رئيس لجنة الانتخابات العودة من خلف الستار إلى مكانه لإحضار هاتفه وتصوير بطاقة الاقتراع

شيك بـ30 ألف جنيه لصيد المحلة.. ودعم مليون جنيه لنادى 23 يوليو.. يكشف المال الانتخابى

استضافة مندوبى الأندية ليلة الجمعية العمومية فى أحد فنادق السبع نجوم وتقديم ما لذ وطاب بعيدًا عن العيون بعد توقف "الكباب والكفتة"

وتختص لجنة الحكماء باللجنة الأوليمبية بتقديم الدراسات والتوصيات التى تهدف إلى تطوير المنظومة الرياضية.. يعنى باختصار لجنة على الورق..

وفقًا للسيناريو المكتوب.. فاز إدريس وقائمته بالتزكية والإجماع بعد موافقة مندوبى ٣٠ اتحادًا وآية مدني.. حيث تم وضع العراقيل من قبل أمام المهندس شريف العريان رئيس اتحاد الخماسى صاحب أفضل إنجاز فى دورة طوكيو ٢٠٢١ وباريس ٢٠٢٤ (ذهبية وفضية أحمد الجندي) وجعلته يعتذر عن عدم خوض الانتخابات حتى لا يشارك فى هذه المسرحية الهابطة!

النادى الأصغر

هذا النادى لا يملك تاريخ غزل المحلة ولا إمكانيات بلدية المحلة ولا حتى مساحة وجماهيرية طنطا، ولكنه تفوّق على كل أندية محافظة الغربية بل ونافس الأهلى والزمالك والاتحاد السكندرى والشمس والزهور، والتى تمثّل رقمًا صعبًا فى الجمعيات العمومية ومؤثرًا فى العملية الانتخابية، وذلك خلال أسابيع وشهور الانتخابات.

نتحدث عن نادى ٢٣ يوليو والذى يُعد الأصغر من حيث المساحة بالمقارنة بأندية الغربية، ولكنه الأكثر تواجدًا فى الجمعيات العمومية.. وبالتحديد أكثر فى اللعبات الفردية مثل الجودو والملاكمة والكاراتيه والكونغ فو والتايكوندو والأثقال والمصارعة والجمباز والخماسى الحديث، وهو رقم لم تستطع أندية كبرى أن تحققه أو تصل إليه.. بجانب تحقيقه أكثر من ١٥٠ ميدالية على المستوى الدولى وعدد كبير من بطولات الجمهورية، ولذلك قام كل المرشحين بعمل أكثر من زيارة ٢٣ يوليو لإقناع إسلام سليمان رئيس النادى بكافة الوسائل للحصول على صوته ناديه.

وقام الدكتور أشرف صبحى وزير الشباب والرياضة بزيارة ٢٣ يوليو فى أوائل شهر أكتوبر ٢٠٢٤، وبالتحديد يوم ٦ أكتوبر، وتحت هذا التاريخ أكثر من خط (جاء قبل انطلاق ماراثون الانتخابات بشهر تقريبًا) وقام بتكريم عدد من أبطاله فى السومو (محمد رضا وعبدالرحمن الصيفي) والجودو وآلاء محمود ومريم عبدالفتاح والملاكمة (سيف الإمام ثانى العرب) ومنحه دعم مليون جنيه وهو رقم كبير أيضًا بالمقارنة بالدعم الذى قدمته الوزارة لأندية الغربية بل وأندية المحافظات الأخري.. وأعلنت الوزارة فى بيانها أن الدعم حتى يستطيع النادى مواصلة إعداد لاعبيه ولاعباته للبطولات الدولية وتحقيق المزيد من الإنجازات، ولكن هناك من أكد أن الدعم الكبير هدفه ليكون صوت النادى فى الانتخابات لمن تريد الوزارة وبالتحديد أكثر الوزير.

جمعية الكباب والكفتة

هكذا كان يطلق على الجمعية العمومية للكرة فى بداية الألفية الجديدة بسبب وليمة الطعام الكبيرة التى كان رجال اتحاد الكرة يعدونها لرؤساء وأعضاء مجالس الأندية بجانب شيك دعم بخمسين ألف جنيه.

وخلال السنوات الخمس الأخيرة.. لم يعُد اتحاد الكرة فى حاجة إلى مثل هذه الوليمة، وخاصة بعد الهجوم الذى تعرضوا له.. حيث حرص الاتحاد على استضافة مندوبى الأندية ليلة الجمعية العمومية فى أحد فنادق السبع نجوم وتقديم ما لذ وطاب (بوفيه مفتوح) بعيدًا عن العيون وخاصة الإعلام.

واكتفى اتحاد الكرة فى يوم الجمعية العمومية بمشروع الهدف بمدينة ٦ أكتوبر ببوفيه بسيط أمام الصالة التى جرت بها الجمعية تضمن باتون ساليه و كرواسون و...وبجانبه ركن خاص للشاى والقهوة والمياه.

البوفيه كان عنصرًا أساسيًا فى كل الجمعيات العمومية (يوم الانتخابات)، وكان مكانه فى نهاية الصالة وبالتحديد فى الجهة المقابلة للجنة المشرفة على تنظيم الانتخابات، والتى كان يتم تجهيز أطباق خاصة لأفرادها.

واختلفت أصناف الأطعمة والمشروبات والكميات حسب أعداد الجمعية العمومية وقدرة الاتحاد المالية.. وكان البوفيه الأكبر فى الجمعيات العمومية للألعاب الجماعية مثل الطائرة والسلة واليد.

وفى انتخابات اليد.. كان رجال محمد الأمين المرشح للرئاسة يوزعون شيكولاته عليها صورة قائمته فى حين كان يرتدى رجال هادى فهمى تيشيرتات عليها صورته.

وقدّمت اتحادات التنس والجودو والسلاح والسباحة بوفية مفتخرًا لأعضاء الجمعية العمومية.. والأقل كان فى الريشة الطائرة والبوفيه الخاص بالملاكمة، ذهب أغلبه إلى خارج صالة الجمعية العمومية، وبالتحديد أكثر إلى أعضاء المناطق والمدربين، الذين جاءوا لمساندة الدكتور عبدالعزيز غنيم ورفعوا لافتات كبيرة عليها صورته واسم المنطقة.

ولم يكن هناك أى بوفيه فى المصارعة.. لأن مجلس إدارة الاتحاد أقام الجمعية العمومية فى غرفة بالاتحاد اكتظت بمندوبى الأندية والمرشحين، ولم يكن هناك أى مساحة لإقامة أى بوفيه.. وتكرر الأمر ذاته فى اتحاد الخماسى والذى كانت جمعيته العمومية هى الأخيرة بين كل الاتحادات، وتمت إقامتها فى غرفة المهندس شريف العريان رئيس الاتحاد.

الصورة كانت مختلفة تمامًا فى الجمعية العمومية لاتحاد الترايثلون (الثلاثي).. رغم أن الانتخابات محسومة بالتزكية لمصلحة أحمد ناصر ورغم الخسائر والعجز فى الميزانية الاتحاد.. كانت هناك وجبات ساخنة لمندوبى الأندية من أحد المطاعم الشهيرة وبالتحديد حمام عبده (كباب وكفتة وفراخ مشوية وأرز بالإضافة إلى السلاطات والعيش) وننفرد بنشر صورة من بوفيه الجمعيات العمومية لعدد من الاتحادات، يأتى فى مقدمتها اتحاد الكرة واللجنة الأوليمبية والسلاح والريشة الطائرة والملاكمة.. الأهم وجبة اتحاد الثلاثى الساخنة.

ولم يتوقف الأمر عند هذا حد البوفيه والوجبات الساخنة عند الاتحادات الغنية.. حيث قامت بعمل ملف خاص لكل مندوب يتضمن أوراق الجمعية العمومية وجدول الأعمال و Note Book وقلمًا.

اللجنة الأوليمبية قامت بعمل Note Book خاص بها عليه شعار اللجنة الأوليمبية وألوان علم مصر، وكذلك اتحاد كرة القدم والكرة الطائرة، وكل منهما بجانب طبع اسم الاتحاد على القلم الذى قدمه لعضو الجمعية العمومية على عكس اتحاد اليد والتنس والملاكمة والاسكواش وآخرين.. خلا الـ Note Book من اسم أو شعار الاتحاد.

تحقيق: عاطف عبد الواحد
ملف كامل من ٧ حلقات على
WWW.ELMASHHAD.ONLINE

المشهد
العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447 هـ

قالت العرب

رَشَأٌ إذا لَحَظَ العَفيفَ بنَظرَةٍ كانَت لهُ سَبَباً إلى الفَحشاءِ
وَجَناتُهُ تَجني عَلى عُشّاقِهِ بِبَديعِ ما فيها مِنَ اللألاءِ
بيضٌ عَلَتها حُمرَةٌ فَتَوَرَّدَت مِثلَ المُدامِ خَلَطتَها بِالماءِ

شحاتة المقدس فى حوار جريء لـ «المشهد»:

"الخيانة ما زالت موجودة فى دير الأنبا سمعان"

تفاصيل مخطط تغيير الفكر الأرثوذكسى ويندد باستخدام الموسيقى فى التراتيل وتمثيل فتاة دور السيد المسيح

فى ظل التوترات الأخيرة التى شهدها دير الأنبا سمعان بالمقطم، التقينا شحاتة المقدس نقيب الزبالين، أحد القيادات الشعبية والفاعلين الرئيسيين فى المنطقة، لمعرفة آخر المستجدات حول الصراع الدائر بين بعض الأطراف الكنسية والشعب. يلقى المقدس الضوء على جذور الخلاف، بداية من قرار نقل الأنبا أبّانوب وصولاً إلى محاولات "تغيير الفكر الأرثوذكسي" فى المنطقة، ويفجر مفاجآت عن نزع صلاحيات الأنبا أبانوب أسقف المقطم.

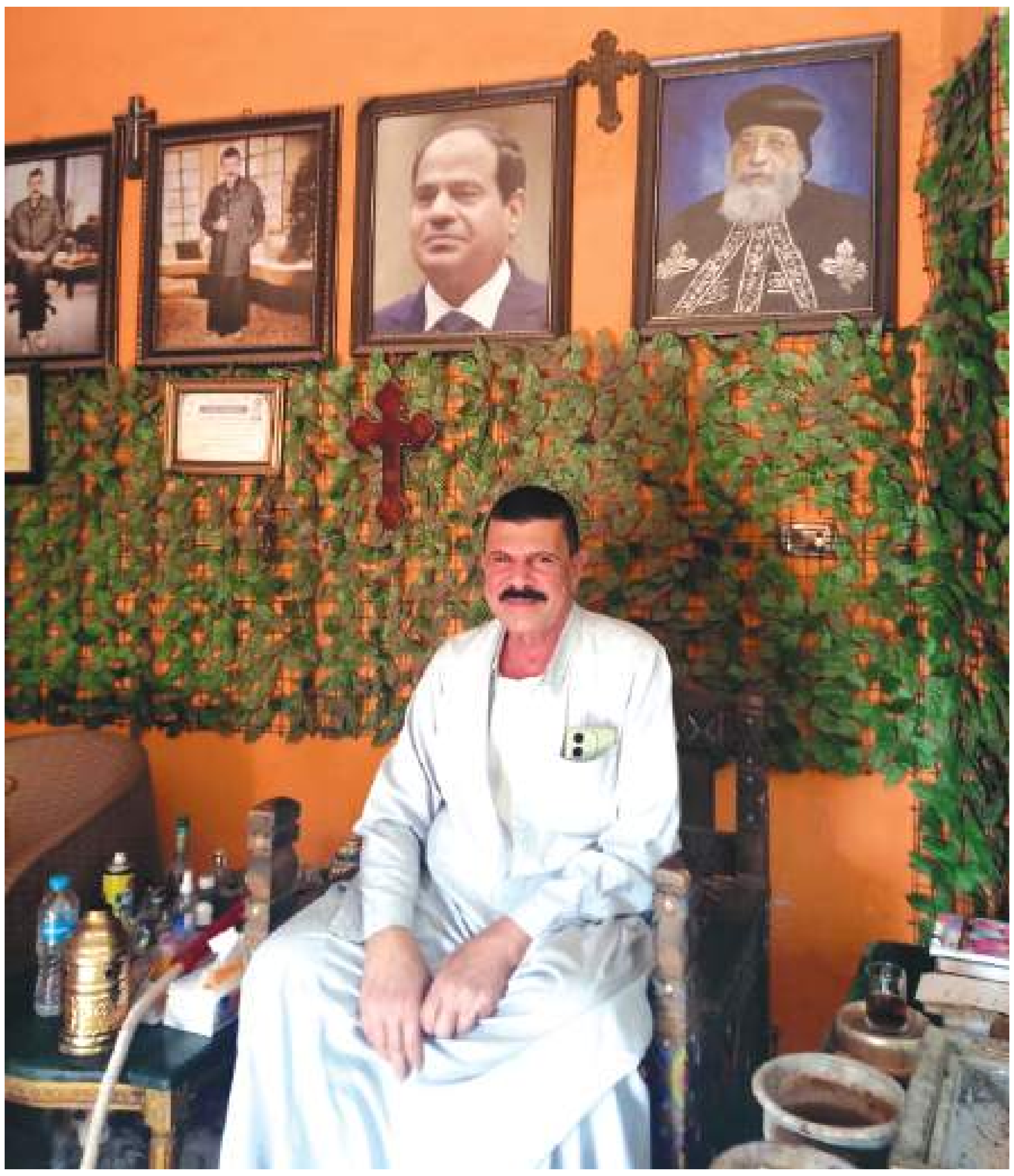

● نعود إليك بعد فترة من التوترات. بصفتكم أحد القيادات البارزة والمتابعين للشأن القبطي، نود أن نعرف منكم آخر تطورات الأوضاع فى الدير، كنا قد شهدنا هدوءًا نسبيًا مؤخرًا، لكن سبقت ذلك فترة خلافات حادة حول ترشيح أحد القساوسة لم يلق قبولاً لدى أهالى الدير؟

– شحاتة المقدس: التوترات التى حدثت بينى وبين الكنيسة بدأت منذ عام بالضبط، عندما أصدر قداسة البابا قرارًا بنقل الأنبا أبّانوب، أسقف كنائس المقطم، من هنا. ومما أثار استياءنا أكثر هو تصريح قداسته فى كنيسة المعادى بأن "الأنبا أبّانوب لديه ضعفات"، وهو ما أحزن الشعب بأكمله، لكن قداسته هو من عيّنه سابقًا ووصفه بـ "الأسد على الأرثوذكسية". كيف يعود ويصفه بالضعفات؟ هذا ما أزعجنا جميعًا. و قام الشعب بمظاهرات فى الدير مسبقا، وتدخلت قيادات الدولة والكنيسة وطالبونى بالوساطة لفض المصالحة، قائلين: "أنت القادر على ذلك". خرجت بفيديوهات وعبّرت عن لومى لقداسة البابا، مؤكدًا أننا رعيته وتحت قيادته وأرجله، فكرسى مارمرقس له عظمة كبيرة، لكن كان هناك خطأ فى إصدار قرار النقل بينما الأنبا أبّانوب يخضع لعملية جراحية، فإذا كان لديه "ضعفات"، فلماذا أتيتم به من البداية؟، وحقيقة وجدت التفافا كبيرا حولي، لأنى كنت على حق ولله الحمد، استجاب قداسة البابا مشكورا وتنازل عن نقل الأنبا أبّانوب، وعادت الأمور إلى نصابها.

● حدثت توترات جديدة بعد ذلك بفترة. ما طبيعتها؟

– منذ بضعة أشهر، فوجئنا بأن البابا سحب الصلاحيات من الأنبا أبّانوب بخصوص دير الأنبا سمعان، ووجدت الشباب يريدون عمل مظاهرات مرة أخرى وهناك توتر فى الكنيسة وانقسام لفُرقتين

● ما المقصود بسحب الصلاحيات هنا؟

– تم منعه من إقامة الصلوات العامة فى الدير والاجتماع العام الذى كان يُقام يوم الخميس ويضم مئات الآلاف من مختلف المحافظات، وكان الأنبا أبّانوب هو من يلقى فيه العظة و يجمع المواطنين من شتى القاهرة والمحافظات يقدر عددهم من ٢٠٠ ألف الى ٣٠٠ ألف، و فضل الشباب عدم التظاهر بسبب التوقيت ولا نريد أن يشمّت أحد فينا ويقول الكنيسة أصبحت فريقين.

● هل تقصد سحب صلاحيات القيادة إدارياً؟

– ليس إداريًـا، هنـاك لجنة من البابا تدير الحسابات، لكن سحب الصلاحيات الرعوية فتح المجال أمام الأب بطرس رشدي، وهو كاهن معروف بكونه ذو ميول كاثوليكية

● هل هى خلافات فى وجهات النظر أم خلافات طقسية؟

– خلافات طقسية شديدة جدًا. و الأب بطرس يروج أنه مسنود من قداسة البابا لأنه فى الفترة الأخيرة كانَ هناك اتجاه أن يقوم بتوحد الطوائف خلال مؤتمر نيقيه، وأحضر فريق الكورال والرقص الخاص بكنيسة قصر الدوبارة إلى الدير. وقام الأنبا أبّانوب بطردهم بالقوة ومنعهم من الدخول، مما أحدث تصادمًا. و نعلم أن الأب بطرس وجد ضالته فى سحب الصلاحيات، خاصة وأن هناك اتجاهًا لتنظيم "مؤتمر نيقية" وتوحيد الكنيسة، وهو يرى المقطم معقلاً قويًا للأرثوذكس.

● وماذا عن حادثة المسرحية التى جسّدت فيها فتاة دور السيد المسيح؟

– بعد أن شعر الأب بطرس بحرية التصرف، تم عرض مسرحية وجسدت فيها فتاة دور السيد المسيح، وهو أمر أثار غضبا شديدا، فالإيمان الأرثوذكسى يحرّم أن تكون المرأة شماسة أو كاهنة، فكيف تُجسد دور السيد المسيح؟

● يرى الأب بطرس أن هذا مجرد دور تمثيلى ولا يوجد ما يمنعه.

– هذا الفكر لا يناسبنا. إذا أراد إقامة أدوار تمثيلية، فليفعلها فى قصر الدوبارة، بعيدًا عن الكرسى المرقسى الذى روّاه شهداء الأرثوذكسية بدمائهم. نحن لا نهدد بالتمرد على قداسة البابا، فنحن تحت قيادته، لكننا نرفض بشدة هذا المسلك.

● هل حدثت أى جلسة تهدئة بعد ذلك؟ هل تدخل الآباء؟

– لا، كان أبونا بطرس فرح من البداية وهناك عداوة مع نيافته وكان يقوم بتوسيع الطريق أمام قداسة البابا بقدومه وإقامه مؤتمر نيقية فى المقطم ويقولوا للعالم كله أن أكبر معقل للأرثوذكس هو المقطم، أيًا كان اللفظ منى أو المعنى، لكن المقصود أن هناك خلافات قوية.

● هل الخلافات مثلًا على الإدارة أو على الفكر نفسه؟

– فكرنا أرثوذكسى وأبونا بطرس فكره خلاص نفوس، لأنه تربية أبونا سمعان لأنه أصلا كان يتبع خلاص النفوس.

● لماذا ينفى أبونا بطرس هذا الكلام؟

– ينفى كما يشاء لكن الواقع مختلف

● يقول القس بطرس إن لا يوجد ما يمنع إن امرأة أو بنت تجسد دور السيد المسيح خلال التمثيل

– نرجع للآباء الأولين، انا لست قسيسا ولا مُتعمّقا فى الدين، على مدار التاريخ والبابوات التى استشهدوا على كرسى مارمرقس ذو اللون الأحمر، هل كان هناك قسيسة أو شماسة مثلاً؟ أو تجسيد امرأه دور المسيح؟

● هل ممكن أن يكون القس بطرس فهم بالخطأ أو لم يستطع شرح وجهة نظره؟

– الإيمان الأرثوذكسى ليس به جدال، إن أراد فعله فليذهب إلى كنيسة قصر الدوبارة، يبتعد عنا، وعن الأرثوذكسية وكرسى مارمرقس الذى لن يُدنس، والشعب كله من ورائي، لكن ليس معنى ذلك أن أهدد بالشعب، ولا مظاهرات ولا ننشق عن البابا، لكن ما يحدث لا يعجبنا.

● وماذا عن ترشيح القساوسة الخمسة الذى أثار الزوبعة الأخيرة؟

– قام الأب بطرس باختيار خمسة أشخاص لرسامتهم قساوسة دون أخذ رأى الأنبا أبّانوب، أو الشعب، أو القساوسة فى المقطم. وقدّم توقيعات موهمًا بأنهم "إخوة الرب" على أنهم موافقة شعبية. وعندما فحصنا هؤلاء الخمسة، وجدنا فيهم من هو ابن زوجة ثانية، وهو أمر غير مقبول دينيًا. كما أنهم ليسوا على فكرنا الأرثوذكسي، فاعترض شعب الكنيسة وأنا كذلك.

● هل كانت هناك مظاهرات رفضا لذلك؟

– نعم، الشباب عبّروا عن رفضهم، وتدخلت أنا بالتعاون مع الأمن الوطنى لفض المظاهرات قبل تفاقمها. قلناها بوضوح: إذا أراد البابا نفسه تعيين قساوسة فى منطقتنا، فعليه أن يستشير الشعب أولاً. و يجب أن يأتى مندوب من قداسته للاجتماع العام ويعرض الأسماء، أنا لن أقوم بفرض رأى على الكنيسة، لكن لا يمكن أن يُفرض علينا كهنة يحملون فكرًا لا يتناسب معنا ويدخلون بيوتنا لمعرفة أسرارنا، والزوبعه الأخيرة، استغل الأب بطرس انشغال قداسة البابا بمؤتمر نيقية لتمرير هذه الأسماء.

● كيف ذلك؟

– هذا ما حدث. ذهب إلى السكرتارية والمجلس المقدس لتمرير ترشيح هؤلاء الخمسة. "وعندما ضجت الدنيا من المظاهرات، تدخل طبعًا الأمن الوطني" لكن الموضوع توقف بعد اشتعال الأزمة، بالرغم من أن "الخيانة" ما زالت موجودة.

● هل من المعقول، ألا توجد أى محاولات لرأب هذا الصدع ولم الشمل مثلًا بجلسة؟

– سأفجر مفاجأة، أبونا بطرس متزوج من ابنة عم قريبي، وشقيقها متزوج من أختي. نحن "نسايب" والخلاف ليس شخصيًا، بل هو خلاف فكرى فى أساس الإيمان، فهو يتبنى فكر "خلاص النفوس" على حساب الطقس الأرثوذكسي، "ليس كراهيه، و المحبه متواجدة فى القلب" وأختلفت معه عندما وقف ضد الأنبا أبّانوب، وعندما أحضر فرقة موسيقى فى الهيكل ومع فكرة السيطرة على الدير لأنه يريد أن يتزعم.

● بما أنكم أقرباء، لماذا لم تبادروا بلقاء معه لحل الخلاف وديًا؟

– بل الواجب عليه هو أن يبادر! هو الكاهن، وعليه أن يذهب إلى رعيته الضالة ويطبطب عليها، لا أن يدير ظهره. هو يعلم أنه مُخطئ، وأن فكره الذى يريد فرضه علينا مرفوض شعبيًا، لكنه يعلم إنه مخطيء، ويريد فرض فكره علينا لذلك لم يبادر، "وعامل البابا ضهره وإن البابا عايز كده والبابا حيوحد كل مصر"!

● يرى البعض من التيارات الأخرى أن الدير يعانى من "الجمود" وأن التمسك الصارم بالفكر الأرثوذكسى أثّر على انتعاش الخدمة.

– غير صحيح. الدير يزوره سياح وأجانب من طوائف مختلفة باعتباره معلمًا أثريًا وتاريخيًا، وليسوا جميعًا يأتون للعبادة الأرثوذكسية. الأب بطرس فكره كاثوليكى ويسعى لتسريب هذا الفكر إلينا عن طريق الأنشطة الكشفية ومدارس الأحد، وهذا ما نرفضه.

● هل من الممكن أن تكون وجهة نظر أبونا بطرس مثلًا أنه يقوم بجذب الطوائف الأخرى أو يحاول عمل إدخالات فى الطقس بحيث يوازن الخدمة أو فكرة تسويقى ليس أكثر؟

– لا، فكره إيمان كاثوليكي، وتصلّى حاليًا بنت عمى الثانية مع بناتها فى كنيسة قصر الدوبارة وهو كذلك يصلى متنكرا ويسافر أمريكا بين الحين والأخر ويروج أنها لإجراء عملية!.

● هل من الممكن أن يصلّى مثلًا مشاركة فقط بدون صلاة ليتورجية؟

– بل هو صديقهم ولا يصلّى هناك رسميا، و يختلط بأفكارهم ويتلقى مُساعدات والعكس، و يدخّل فكرهم الخاص لدينا هنا، ولذلك لأجل نجلته دعا كل فريق الموسيقى، مما يتضح منه أن الأمر عادي، فهو يريد تغيير الفكر الأرثوذكسي، ولن يروق لنا، "أنت متنكّر فى الملابس الأرثوذكسية ونحن نعلم من تكون وندرك ذلك"

● هل هناك مبادرة تطلبونها الآن من قداسة البابا لتهدئة الأوضاع؟

– نعم، نحن نطالب قداسة البابا بزيارة المنطقة. ونشعر بالاستياء لأنه زار مناطق أخرى مؤخرًا ولم يزر المقطم. هو الراعي، وواجبه أن يطمئن رعيته. لا نريد أن نعلمه كيف يفعل ذلك، لكن نقول: يا قداسته، أرسل لجنة من المجمع المقدس برئاستك إلى هنا! بل أطالب باستفتاء شعبى لاختيار القساوسة الجدد ومطالبة عاجلة بزيارة بابوية لدير الأنبا سمعان لإنهاء أزمة الانقسام الطقسي، على أن تأتى لجنة من المجمع المقدس لحل الخلافات، "للاسف محدش معبرنا"

هذه خفايا سحب صلاحيات الأسقف الأنبا أبانوب والأب بطرس يدعى أنه مسنود وأدعو البابا لزيارة دير المقطم

أزمة النظافة فى القاهرة سببها سوء الادارة ولا نحتاج لشركات أجنبية فلدينا الخبرات والمعدات الكافية

ومنذ اليوم الأول طلبنا مقابلته، لكن نحن نسير بتوجيهات دينية أولا ثم الأمن وأن مصر أمانة، ولا نريد انشقاقا ولا مظاهرات وصمتنا، وليس بسبب الخوف لكن لن نسمح بتغيير الفكر الأرثوذكسي.

● إذًا هى قضية تعليم، قضية إيمانية، لا علاقة لها بالإدارة؟

– نعم إيمانية وأى قس يقوم بعمل قُدّاس مخالف هنا سنوقفه، لأن هناك محاولات أخيرة تمت فى المقطم صادرة من القس بطرس باستماته لإدخال الموسيقى فى الصلاة، والفكر الغربى بيتسلّل.

● هل تعتقد أن زيارة البابا ممكنة دون تصفية الخلافات أولًا، نبادر بذلك ومع شخصيات أخرى وعن طريق شباب يتبنى الفكرة مثلا، فما رأيكم؟

– لو قال البابا إنه سيأتى غدًا، لاستقبلناه بكل حب وكرامة، وليس هناك تخوفات من أن يقوم أحد بأى فوضى، فنحن قيادات قادرة على ضبط الأمور، وسنعرض عليه مشكلاتنا، فقداسته يعلم أن هناك مشكلات متفاقمة، فلماذا الصمت!، لست أنا من يقول لقداسته ماذا يفعل لكن لا نريد تشتتا بل كنيسة راسخة دون غضب أحد والمحبة لا تسقط، فما المانع من وضع أيدينا على نقاط الخلاف، ونحن شعب جيد ولديه عقيدة راسخة، ومطيعين أيضا، بالعكس سوف نتسابق لأخذ بركته ولا يوجد قلق ورفضنا فقط استضافة مؤتمر نيقيه لكنه انعقد بالفعل، فما المانع من الزيارة؟، ومن الصحيح أن نختلف مع أخوتنا من الطوائف الأخري، لكن لا نكره أحدا.

● البعض يتهمكم شخصيًا بأنكم تقفون ضد البابا وتؤججون الخلافات الشخصية. ما ردكم؟

– هـؤلاء هـم أهـل الفتنـة الـذيـن يـريـدون تسخين الأجواء. أنا أدافع عن الكنيسة والإيمان الأرثوذكسي. عندما أخرج للإعلام، لا أزيد الفتنة بل أمتص غضب الشباب الذى يخرج عن شعوره بسبب هذه التصرفات (مثل إحضار الموسيقى والرقص فى الدير). أنا أتحدث للصالح العام، ولن أصمت عن تغيير إيماننا. نأمل أن يتسع صدر قداسة البابا، وأن يزورنا قريبًا ليعيد الاستقرار والمحبة.

● هل نستطيع أن نقول انها زوبعة فى فنجان كانت مرحلية ومرت؟

– للأسف قداسته أعطى لهم أذنا للسمع وأنا لا أستطيع ألا أتصدى للخطأ.

● هل نستطيع أن نقول أن بعض التعبيرات التى صدرت عنك من الممكن أن تكون تم تفسيرها بالخطأ؟

– هل أنا أدافع عن نفسى أو عن بيتي؟ أنا أدافع عن الكنيسة، ومن المفترض أن هذا الأمر يفرح قلبه.

● هل تمثل تيارا آخر يريد فرض رأيه على الكنيسة ويعتقد أنه حامى الإيمان؟

– لا، لكن عائلتى تمثل ٧٠٪ من أهل المنطقة، ويستمعوا الى بالمحبة وأنا لا أتحدث فى أمر شخصى أو بالخطأ، لكنى محبوب وعندما أقول لا مظاهرات، يستمعون إلى لأنى أحل مشاكلهم، ولست الرأس المدبر لأى عمل، ولا بد أن أخرج فى الإعلام و أشير إلى الخطأ داخل الكنيسة حتى أقوم بتفريغ غضب الشباب، ولأننى حريص على المصلحة العامة وأحب قداسته، وأريد ايضا أن يصلح ما تم ويتسع صدرة لرأب هذة الخلافات.

● نأمل أن يكون فى القريب العاجل، وأن يضبط قداسته الصلاة ويبارك الدير؟

– نأمل من الله أن يحضر الخير على هذه الحاضرة.

● نتحدث عن الفيلم الوثائقى الذى يجسد مسيرتكم وحياتكم. ما هى قصة هذا العمل، وهل يحمل فعلاً طموح المنافسة فى الأوسكار؟

– القصة بدأت منذ سنوات عندما جاءت سيدة فرنسية كبيرة وذات منصب مرموق، وزارت حياة الزبالين والتقت بى بصفتى نقيبهم ورجل له كلمته. حكيت لها عن قصة حياتي، وكيف بدأ أبى وأجدادى هذه المهنة، وعن تربية الخنازير، وعن تأسيس النقابة فى ٢٠١١. أعجبت جداً بالقصة، وبعد سنوات فوجئت بشركة إنتاج مصرية والسفير الفرنسى ووفد مهم من السفارة يطلبون تصوير فيلم عن حياتي، بعد الحصول على التصاريح الأمنية اللازمة. تم التصوير فى ٣٦ يوماً، ويتناول الفيلم قصتى منذ ولادتى وكيف طورت المنطقة وترشحت لمجلس النواب. وحين سألت عن نسخة من الفيلم، أخبرونى أنهم سيدخلون به جائزة الأوسكار، وأنهم سيعرضونه فى مصر بعد الجائزة.

● هل تتوقعون فعلاً فوز هذا الفيلم بالجائزة، خاصة وأن تجربتكم فريدة من نوعها؟

– أنا أعتقد أنه سينجح، هناك اهتمام كبير بشخصيتى وطموحى من قِبل الدول الأوروبية، وكيف وصلت إلى هذه الثقافة والخبرة رغم أننى "زبال ابن زبال". نحن استطعنا تنظيف مصر بعد فشل الشركات الأجنبية فى عهد مبارك.

● دعنا ننتقل إلى ملف النظافة. ما هى آخر اجتماعاتكم مع المحافظة؟ وما هى الخطط القادمة، خاصة أن هناك شكاوى مستمرة من تراجع مستوى النظافة فى القاهرة؟

– أنا أتحدى هذه الشكاوى فى القاهرة والجيزة والقليوبية. نحن مقسمون جغرافيا إلى ست مناطق. فى خطتى التى وضعتها عام ٢٠١٤، أوضحت أن الدولة غير قادرة على نظافة الشوارع لعدم توفر الأيدى العاملة والمعدات التى سُرقت أو تلفت بعد ثورة ٢٠١١. واقترحت أن تتولى شركات وطنية مهمة نظافة الشوارع، ونتكفل نحن – الزبالين – بجمع قمامة البيوت.

● وماذا عن هذه الشركات، هل تعتقد أننا مازلنا فى احتياج لتجربة شركات أجنبية؟

– لدينا شركتان وطنيتان كبيرتان: شركة "ارتقاء" وشركة "انفيرو ماستر". الشركتان تتوليان نظافة الشوارع بالكامل، ونحن نتولى جمع قمامة الوحدات السكنية مباشرة من الساكن إلى السيارة، دون تركها فى الصناديق للنباشين وتم التعاقد بالفعل مع هذه الشركات، ونحن نضمن حق الزبال الغلبان بالاحتفاظ بقمامة المنازل. ومن يخالف ذلك نقوم بإلغاء الترخيص الخاص به كله، لدى ٧٢٥٠ شركة مقيدة فى هيئة الاستثمار وندفع ضرائب للدولة، ولذلك الناس مهتمة ومنتظمة، وشرط أساسى من الوحدة السكنية للسيارة الإنتظار، وبالفعل تم تنظيف شوارع القاهرة الكبرى بالأفكار النيرة، وهنا فى أحياء الزبالين الستة نقوم بفرز الزجاج والكرتون والبلاستيك، أما المواد العضوية تتبقى للخنازير، اليوم استطعت تنميه العدد ليصل لـ ٢ مليون خنزير، بعد أن تم إعدام نصف مليون فى ٢٠٠٩.

● هل ترى أن المعدل المتوفر من الخنازير كاف؟

– نعم معدل كاف وفنادق كل الأجانب تأخذ منا، والمعرض الدولى وكل هذا تسبب فى زيادة عدد السياح فى مصر وتعتمد اعتمادا كليا على لحم الخنزير، وكذلك هناك حوالى ٢٥ مليون مسيحى فى مصر يأكلون لحم خنزير، لو لم يتوفر كان من الممكن ان ينافسوا على اللحوم البلدية وبالتزاحم مع إخواتنا المسلمين"،و كيلو اللحم سيقفز، لولا الخنزير كان قفز الى ١٠٠٠ جنيه، بالإضافة إن الخنزير له فوائد لتخليصنا من القمامة نهائياً (نعم حرام بناء على الشرع الإسلامي) ولكن لكم دينكم ولى دين، بالإضافة إلى الفوائد الطبية من جلد ودهن الخنزير (كالإنسولين وسلك العمليات). إذن له فائدة فى أمور أخرى كثيرة، والله لم يخلق دابة على الأرض إلا وكانت فى خدمة الإنسان، فقد سخر لنا هذا فى خدمة البشر.

● إذن، ما الذى ينقصنا اليوم للارتقاء بمنظومة النظافة؟ هل نحتاج استيراد معدات أو شركات خارجية؟

– لا نحتاج أى شيء من الخارج. مشكلتنا سوء الإدارة! الإمكانيات متوفرة، وقيادة الدولة تولى الملف اهتماماً كبيراً منذ عام ٢٠١٤. لدينا شركات وطنية من أبناء الزبالين لديها القدرة والخبرة التى تفوق خبرة الخواجة. الشركتان الحاليّتان تستخدمان معدات حديثة جداً للتعامل مع الشوارع، بينما نعتمد نحن على طريقتنا القديمة الفعالة فى جمع القمامة من البيوت.

● أخيراً، هل هناك خطط أو اجتماعات قادمة للتطوير أو التوسع؟

– أى شيء تطلبه الدولة أنا جاهز له. بعد نجاحنا فى قطاعى غرب وشرق القاهرة، هناك خطة ما زالت قيد الدراسة لتوسيع نطاق عملنا ليشمل جنوب وشمال القاهرة. وقد تحدثت مع شركائنا وهم على أتم الاستعداد ولديهم المعدات اللازمة، حتى أنهم توسعوا فى مدن جديدة كالعاصمة الإدارية ومدينة ٦ أكتوبر والتجمعات. لقد انتهينا من قطاع غرب وشرق القاهرة، وهناك خطة مازالت قيد الدراسة، أن تستعين بنا الدولة فى إنشاء شركات لجنوب القاهرة وشمال القاهرة، وهناك حديث مع السادة المسؤولين، وعندما تحدثت مع الحاج ناصر صاحب شركة ماستر الذى يعمل اليوم فى قطاع شرق القاهرة وذكرت له خطه الدولة، فقال لى أنه جاهز بعد أن توسع وأخد دمياط الجديدة، وشركة إنفيرو لديها معدات كثيرة.

● ماذا عن المدن الجديدة كالعاصمه الإدارية؟

– نحن نغطى جميع المتاطق، ونصل العاصمة الإدارية وحتى الوحدات العسكرية نحصل على تصاريح من وزارة الدفاع مشكورة، ونصل للتجمع الأول والخامس بالكامل ومدينة ٦ أكتوبر، فعددنا مليون يغطى كافه مناطق الدولة ولم نغفل شيئا، ونتصارع على رفع القمامة لأنها لقمة عيش، ميزة المهنة أنها تكسب كتيرا، وهى أيضا مهنة مستدامة.

● ما الجديد الذى تطلبه مؤخراً من الدولة بخصوص حقوق العمال؟

– المسؤولون لم يقصروا وهم يساعدونا وهناك تسهيلات بالنسبة للزبالين، خاصة من السيد مدير الامن والمرور ومعالى المحافظ، وكل ما يطلبه جامعو القمامة أن يكون العمل سلسا، وبالفعل يسهلون علينا العمل .

● وماذا عن حقوق العاملين أو الدعم من قِبل الدولة، خاصة قطاع الصحة والمعاشات؟

– الدولة مشكورة لا تقصر فى أن نحصل على حقنا؛ فقطاع الصحة يوفر لنا مركزاً كبيراً مثل "مركز الجبرتي" الذى يخدم أهالينا. وكنقابة، نحن ندعم الأعضاء الذين يتعرضون لظروف صعبة أو الوفاة، وتساعدنا فى ذلك الكنيسة والجمعيات الأهلية، والحمد لله مجتمعنا هادئ ومحترم وآمن، أما عن المعاشات مثلاً، فهناك قطاع المعاشات للدولة تصرف قانونا، وكنقابة لو كان هناك أحد الأعضاء وقع بيه الحال أو توفى وأسرته لديها أطفال، تقوم النقابه بدورها معه ونساعد بعضنا جميعا.

حوار: جورجيت شرقاوي

هل يعانى المصريون حقاً من أزمة هوية؟

علينا التحرر من ذهنية المحتل والتى تصر على تهميش السواد الأعظم من المصريين وإبعادهم عن مراكز القرار

أشرت فى مقالى "فى مسألة الهوية.. كيف تكون حضارتنا القديمة ركيزة لنهضة تتطلع إلى المستقبل؟" (المشهد ٣ نوفمبر)، أن حدث افتتاح المتحف الكبير جعل المصريين "يشعرون بأن هويتهم لها جذور راسخة فى عمق التاريخ، وجعلهم التراث الذى خلفه جدودهم للعالم، والذى وضع مصر على خريطة الحضارات العالمية بوصفهم أصحاب أقدم حضارة معروفة إلى الآن، يشعرون بالانتماء لهذه الحضارة وبأنهم شركاء فى صنع هذا المجد". وكان من المفترض أن يحسم هذا الشعور الجدل الذى يثيره كل من يُصر على اختزال هوية مصر وشخصيتها في، بُعد وحيد من أبعاد شخصيتها، والتى كونت للمصريين هويةً مركَّبةً ومعَّقدة. لقد ناقش الراحل أسامة أنور عكاشة فى بعض أعماله الدرامية التى كتبها، هذه المسألة، بدءًا بمسلسل أرابيسك الذى غرضه التلفزيون فى فبراير ١٩٩٤، ثم فى مسلسل "زيزينيا" بجزءيه، الذى بدأ التلفزيون إذاعة حلقاته فى نهاية ديسمبر ١٩٩٧.

هذا الطابع المركب للهوية المصرية الذى أكده محمد شفيق غربال، فى كتابه "تكوين مصر"، وميلاد حنا فى كتابه "الأعمدة السبعة للشخصية المصرية"، وجمال حمدان فى موسوعته الأشهر "شخصية مصر"، وأكدته نعمات أحمد فؤاد فى كتابها عن شخصية مصر وكتاباتها الأخرى، لا يُرضى بأى حال من يصرون على التوقف عند بعد واحد فقط من أبعاد التاريخ المصرى الممتد والمتواصل. وأظهر حدث افتتاح المتحف الكبير، أن المصريين لديهم ارتباط عاطفى ثابت ومؤكد بهويتهم الحضارية، وأن هذه الهوية الحضارية ضاربة بقوة فى مصر القديمة بتراثها المادى والمعنوي، وأنها ممتدة وعابرة للزمان والثقافات التى وفدت على مصر وتفاعل معها المصريون وهضموها واستوعبوها، لتشكل رافدًا من روافد شخصيتها، والأهم أن هذه الهوية تشكل أساسًا لشعور المصريين بأن لديهم أمًلا لامتلاك "إرادة المستقبل" و"إرادة التحدي"، وحرصًا على التواصل "روحيًا" و"عاطفيا" مع تراثها الحضارى العريق الممتد لآلاف السنين، والذى استطاع الصمود فى مواجهة تحديات مستمرة حاولت، ولا تزال تحاول، أن تسلب مصر روحها.

اختزال مخل

فى تقديري، أن أزمة الهوية لا وجود لها إلا فى ذهن من يرغبون فى أن يحصروا مصر فى مكون وحيد فقط من مكونات شخصيتها واختزال أبعاد شخصيتها المنفتحة، على الإنسانية أولا وعلى الاتجاهات الرئيسية الثلاثة، المتوسطى والآسيوى والأفريقي، التى تفاعلت على أرضها على مدى تاريخها، والتى لا تزال تتفاعل على أرضها إلى اليوم. فهناك من يريد اختزال مصر فى حضارتها القديمة فقط ويرون أنها "تشوهت"، نتيجة دخول مكونات أخرى، هيلينية وبيزنطية ومسيحية وعربية وإسلامية أو أفريقية، وفدت إليها فى فترات تاريخية مختلفة وممتدة، وهناك من ينكرون على مصر مرحلة مهمة فى تاريخها، وهى المرحلة المسيحية القبطية، والتى لم يكن لها ولفترات طويلة، نصيب فى مقررات التاريخ التى يجرى تدريسها فى مراحل التعليم المختلفة، الأمر الذى حرم مصر وثقافتها من مكون مهم ورئيسي، حافظ على تراثها التاريخى وعلى تراثها المادى ممثلًا فى العمارة. وربما كان هذا الغياب لشخصية مصر القبطية، فى مقابل التركيز الطاغى الذى يختزل مصر فى البعد العربى الإسلامي، أحد مصادر التوتر الأساسية عند مناقشة موضوع هوية مصر.

هناك بعد آخر فى شخصية مصر، يتم تغييبه عمداً ولأسباب سياسية وثقافية، هو البعد المتوسطي، الذى كان مشروعا للنخبة المصرية قبل عام ١٩٥٢، على النحو الذى بلوره طه حسين فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر"، وهو كتاب يناقش أسس النهضة الفكرية والثقافية لمصر، المرتكزة على التعليم. ويرتبط هذا التغييب تحديدًا بالفريق المتوجس من انفتاح مصر ثقافيًا وفكريًا على العالم بدعوى الحفاظ على هويتها وقيمها. وينسى هؤلاء أن فترات الانحطاط والتراجع والتدهور فى تاريخ مصر، هى تلك الفترات التى حُجبت فيها عن العالم وفرضت عليها عزلة، ولا ينتبه هؤلاء إلى خطورة عدم مواكبة الثقافة المصرية التى كانت متفاعلة ومؤثرة فى ثقافات العالم، لما يمر به العالم من تحولات متسارعة وعاصفة تغير من وجه الحياة، خصوصًا فى مرحلة الثورة الصناعية الرابعة وما تبشر به من تغيرات جذرية فى علاقة الإنسان بمحيطه وبيئته، وأيضًا فى علاقته مع أحد أهم منجزاته، التى وضع فيها خلاصة تطوره المعرفى والفكرى فى سعيه للارتقاء وفى مسيرته نحو التحضر والمدنية، والسيطرة على الطبيعة وتطويعها، وأشير هنا تحديدًا إلى التقنية والآلة التى من المنتظر أن تلعب دورًا كبيرًا فى المستقبل، الذى يصفه بعض المفكرين والدراسين "ما بعد بشري".

هذه الأمور جميعًا تفرض علينا إعادة التفكير فى مسألة الهوية كى نتقدم بخطى أكثر ثباتًا وثقة نحو المستقبل، مستندين إلى إرث تاريخى وحضارى ممتد وله حضوره البارز فى وعى البشر فى شتى أرجاء المعمورة. وقد يكون المنهج الذى سار عليه الأستاذ شفيق غربال فى مقالته عن "تكوين مصر"، طريقة مناسبة لهذه المهمة، فالرجل رصد عددا من النقاط المهمة فى دراسته، والتى لخصها تحت عنوان بالغ الدلالة، وهو "مصر هبة المصريين"، فالمصريون الذى عاشوا فى هذا الركن من العالم على ضفتى النهر، الذى تمكنوا من تطويعه وإخضاعه فى استجابتهم لتحدى التغير البيئى وما أحدثه من جفاف فى المنطقة المحيطة بمصر، من أنشأوا هذه الحضارة. وربما كانت النقطة الأهم فى هذا المنهج الانتباه إلى مبدأ التفاعل بين الاستمرار والتغير فى مسيرة مصر التاريخية، وأيضًا عوامل التماسك الاجتماعى بين من عاشوا على أرضها، والمكانة التى احتلها الفرد فى المجتمع، فى هذه التجربة الفريدة، وعلاقة مصر بالعالم القديم والمعاصر، والتى تظهر تأثيرهم فى الحضارة الهلينية وفى المسيحية وفى الإسلام وفى العالم الغربي، بقدر ما تأثرت بهم.

مسألة الهوية محسومة لدى الرجل، إذ يمنح للفرد كامل الحرية فى ينتمى لمصر، فالمصرى عنده هو كل شخص يصف نفسه بهذا الوصف، ولا يحس بشيء يربطه بأى شعب آخر ولا يعرف وطنًا له غير هذا الوطن، بغض النظر عن أصول أسلافه حتى لو كانوا غرباء عن مصر. وهذا الاختيار الحر هو الأساس فى أن الطابع المصرى الذى تشكل فى هذه البيئة المصرية لا يعبر عن هوية عرقية، وإنما يعنى موقفا من الحياة، وهو الأمر الذى جعل مصر دائمًا تسمو فوق هامات الحقب والعصور. ولا يمكن فهم تشكل الهوية المصرية الحديثة دون فهم لهذه الخصائص. وإذا كان منهج غربال يعيننا على فهم كيف أن التغير لم يؤثر على الاستمرارية والثبات، فى حين أن المنهج الذى وضعه جمال حمدان لفهم الدور الذى لعبته عبقرية المكان فى فهم الشخصية المصرية، يعيننا على فهم ديناميكيات الاستمرارية وعناصر الثبات فى هذه الشخصية.

مصر للمصريين

ربما كانت السمة الأبرز فى هوية مصر هى أنها لا ترتكز على فكرة العرق. فمصر تاريخيًا دولة مركزية على مستوى الحكم والإدارة، لكنها متنوعة عرقيًا وثقافيًا، وجاءت الأسر الحاكمة من أعراقها المختلفة. وعلى الرغم من تزامن هذا التنوع العرقى والثقافى والقومى واللغوي، فى مراحل كثيرة فى تاريخ مصر، كانت هناك دومًا وحدة ما بين المصريين على مستوى الهوية الجامعة، وأن هذه الوحدة أتاحت مستويات كبيرة من التماسك الوطنى والسمات المشتركة التى تتجلى بشكل خاص فى مواجهة التحديات، وخصوصًا التحديات الكبرى خارجية كانت أم داخلية والتى تستهدف بشكل خاص وحدة المصريين وتماسكهم، وأعطت هذه الوحدة لمصر تمايزها فى المحيط، حتى حينما كانت جزءاً من إمبراطوريات أكبر، مثلما كان عليه الحال فى الإمبراطورية الرومانية بعد غزو الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد، حين كانت مصر محتلة من الفرس، الذين قاموا بغزوها عام ٥٢٥ قبل الميلاد، أو بعد الغزو العربى عام ٦٣٩ ميلادية، والذى أصبحت مصر بعده ولاية من ولايات دولة الخلافة الراشدة أولاً ثم الأموية والعباسية، لاحقًا، إلى أن تمكنت من تحقيق قدر من الاستقلال النسبي، بلغ ذروته مع الفاطميين الذين جعلوا منها مقرا لخلافتهم إلى أن تم القضاء على حكمهم على يد صلاح الدين وتأسيس الدولة الأيوبية التى اتخذت من مصر مركزا لها، قبل انهيارها وخضوع مصر لحكم المماليك الذين فرضوا سيطرة عسكرية إلى أن قام العثمانيون بغزو مصر فى عام ١٥١٧ ميلادية لتصبح ولاية عثمانية لكن المماليك تمكنوا من استعادة نفوذهم تدريجيا وظل الحال على هذا النحو إلى أن اختار المصريون محمد على ليكون واليًا عليهم، وحصولها على استقلال نسبى عن العثمانيين حتى قبل إعلان إنهاء الخلافة العثمانية رسميا فى عام ١٩٢٤، وكانت مصر وقتها خاضعة للاحتلال البريطاني.

غير أن هذه التحولات فى تاريخ مصر السياسى لم تؤثر على تمايز المصريين، الذين انخرطوا فى كثير من الثورات ضد الإمبراطوريات التى تعاقبت عليهم. وجسدت الصياغة الأحدث للهوية المصرية، تحت شعار "مصر للمصريين"، فى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ، حقيقة أن هوية مصر لا تستند إلى أساس عرقي، وقد تبلورت الهوية المصرية نتيجة لمشروع التحديث الذى قاده محمد علي. ومن اللافت أن من رفع هذا الشعار المثقفون الذين وفدوا للعيش فى مصر من الشام ومن مناطق أخرى فى حوض المتوسط، وشكّل هذا الشعار فلسفة قوانين منح الجنسية للمصريين والتى مرت برحلة تشريعية فى بدايات القرن العشرين، حين منحت الجنسية لكل من أقاموا فى مصر قبل ١٩١٤، وعكست هذه القوانين التطور من مفهوم "الرعوية" العثمانى إلى الشكل الحديث للجنسية باعتبارها "رابطة سياسية وقانونية" مع الدولة المصرية التى نالت استقلالها القانونى فى ١٥ مارس ١٩٢٢.

صدر أول قانون للجنسية فى مصر بعد أربعة أعوام من استقلالها، وتحديدًا فى ٢٦ مايو ١٩٢٦، ويعتبر أول تنظيم تشريعى حديث وفعّال للجنسية المصرية، خصوصًا بعد تفعيله فى عام ١٩٢٩، بالقانون رقم ١٩. واستند هذا القانون إلى مبدأ حق الدم (jus sanguinis) فى منح الجنسية، لكنه منح الجنسية أيضاً لبعض الفئات، استناداً إلى مبدأ حق الإقليم (jus soli)، ومن بين هؤلاء رعايا عثمانيين مقيمين فى مصر منذ عام ١٩١٤. وظل هذا القانون ساريًا حتى صدور القانون رقم ١٦٠ لسنة ١٩٥٠، والذى وضع بعد نهاية الامتيازات الأجنبية فى مصر. واستقرت الجنسية المصرية بموجب القانون رقم ٣٩١ عام ١٩٥٦، والذى تم تعديله بالقانون رقم ٢٦، عام ١٩٧٥. وتعرف أولى مواد هذا القانون المصريين، بأنهم المتوطنون فى مصر قبل ٥ نوفمبر ١٩١٤، وهو تاريخ إنهاء الحماية البريطانية، من غير رعايا الدول الأجنبية، والذين حافظوا على إقامتهم فى مصر حتى تاريخ العمل بالقانون. وتضمن القانون بعض الأحكام الخاصة بإسقاط الجنسية أو باكتسابها.

استقرار مفهوم الجنسية

ساهمت هذه القوانين فى استقرار مفهوم الجنسية بالمعنى القانونى والدستورى لأكثر من مئة عام، إلا أن هذا الاستقرار لم يُرسخ بشكل كامل الهوية المصرية باعتبارها المستوى الأعلى لانتماء المصريين، خصوصًا بالنسبة لكثير ممن يعتبرون أن انتماءهم الديني، لا سيما الإسلامي، أو العربي، تجب الرابطة التى تجمعهم مع المصريين الآخرين المنتمين لديانات أخرى، وكذلك بالنسبة لمن يُعلون انتماءاتهم الفرعية، القومية أو الدينية، مثل النوبة وبعض الجماعات الأخرى، على انتمائهم المصري. ويلاحظ أن مسألة هوية مصر وشخصيتها الحضارية والثقافية كثيرًا ما تكون مثار خلاف فى حالة التركيز على المكون الدينى والثقافي. وعلى الرغم من أن مصر لا تعانى أزمة هوية على غِرار أزمات الهوية فى بلدان عربية أخرى، مثل سَوريا حيث يسود الاعتقاد بأن حُكّامها الجدد يُركزون على البعد الدينى المذهبي (المسلمون السنة) كأساس لصياغة جديدة للهوية تُخرج بعض المكونات الأخرى مثل العلويين والأكراد والدروز وتدخل مكونات من بلدان إسلامية، لاسيما الذين وفدوا للمشاركة فى التمرد المسلح على النظام السابق من آسيا الوسطى، على أساس الرابطة المذهبية. لكن مصر تعانى فى الوقت نفسه إلى حد ما من أزمة بناء الأمة كركيزة لهوية الدولة، والتى تعانى منها الدول الوطنية التى برزت ككيان قانونى مؤسسى فى المشرق العربى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى فى سياق السباق الفرنسى البريطانى على ممتلكات الدولة العثمانية، والتى تعرف فى أدبيات التنمية السياسية بأزمة بناء الهوية الوطنية للدولة.

مصر بين العروبة والإسلام

دخلت مصر القرن العشرين بقيادة نخبة اجتماعية وسياسية وفكرية موزعة بين الفلاحين وبين النخبة الحضرية التى لها سمات كوزموبوليتانية وحداثية. و"الفلاحون" هو الاسم الذى كان يطلق على المصريين الذين ليس لديهم أى ادعاء بالتمايز الثقافى أو العرقي، مثل العرب أو العثمانيين والشركس، أو الذين لديهم انتماءات وأصول عرقية واضحة مثل الأرمن واليونان والإيطاليين، وأبناء قوميات أخرى من البلقان وفدوا مع محمد على أو استقدمهم، وبقايا عائلات المماليك، والذين اعتبر بعضهم جزءا من المكون الكوزموبوليتانى الحداثى للنخبة. وكانت هذه النخبة، فى مجملها، تتمحور منذ عام ١٩٠٥ حول مشروع الأمة المصرية المتمايزة ثقافيًا عن المحيط العربى والإسلامي، وتبنت مشروعًا لتحديث مصر كى تصبح دولة عصرية منفتحة على الحداثة الأوروبية، وكان من أهم مشروعاتها تأسيس الجامعة المصرية وإنشاء مدارس للتعليم العام الحديث، كمسار موازى للتعليم التقليدى الذى كان متمركزا حول الأزهر ويتسم بطابع دينى واضح.

هذا التوجه نحو التعليم الحديث، تحديدًا، هو ما عارضته بعض رموز الثقافة التقليدية فى ذلك الوقت، فى حين عارضت جماعة الإخوان المسلمين التى تأسست عام ١٩٢٨، كرد فعل على إسقاط الخلافة العثمانية، الانفتاح على الحداثة الغربية، زاعمة أن مشروع النخبة المصرية الذين ربط بين مشروع الحداثة المصرية بمكوناته الوطنية، والحداثة الأوروبية والانفتاح على الغرب، هو مشروع لتغريب المجتمع معادى للثقافة الإسلامية والعربية، وتمكنت جماعة الإخوان من التأثير على بعض مكونات الحركة الوطنية المنتمية للطبقات الوسطى فى المدن، وبين بعض التوجهات المتطرفة والرجعية فى الحركة الوطنية المصرية المناهضة للنفوذ البريطانى والفرنسى فى مصر.

فى عام ١٩٦١، نشر نداف صفران، وهو يهودى من أصول شرقية ولد فى القاهرة عام ١٩٢٥، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى مطلع الخمسينات حيث عمل أستاذا لدراسات الشرق الأوسط، كتابًا بعنوان "مصر تبحث عن مجتمع سياسي: التطور الفكرى والسياسى فى مصر فى الفترة بين ١٨٠٤ وحتى عام ١٩٥٢"، حلل فيه أسباب فشل النخبة المصرية فى بناء نظام سياسى ديمقراطى حر وأيديولوجية وطنية تتجاوز الأيديولوجية التقليدية المتمركزة حول الإسلام. لكن ثمة إجابات أكثر تفصيلا يتضمنها كتاب "مصر والعرب والإسلام: البحث عن الأمة المصرية ١٩٠٠–١٩٣٠"، من تأليف إسرائيل جرشونى وجيمس يانكوفسكي، الصادر فى عام ١٩٨٦، والذى ترجمه إلى العربية بدر الرفاعى فى كتاب صدر بعنوان "هوية مصر بين العرب والإسلام، ١٩٠٠ – ١٩٣٠"، والذى صدر فى عام ٢٠١٣، تربط هذا الفشل بالصراع على هوية مصر بين النخبة التى قادت العمل السياسى والفكرى فى عشرينات وثلاثينات القرن العشرين وبين صعود التيارات القومية والعروبية والدينية، والتى فرضت القضايا المثارة بخصوص هوية مصر والتى لا تزال قائمة ولم تحسم.

الهوية والتقنية والمستقبل

لقد نقلت الثورة الصناعية الرابعة، وما أحدثته من تحولات كبرى على الصعيد العالمى وفى مختلف العالم النقاش حول مسألة الهوية إلى مستوى آخر، نظراً لأن الهوية الإنسانية هى التى تواجه تهديدًا خطيرًا مع تزايد الدور الذى تلعبه والخوارزميات والآلة فى تنظيم حياة المجتمعات، حيث تتنزع الآلة من الإنسان مساحات فى كثير من المجالات الرئيسية، بدءاً بالعمل والإبداع الثقافى والفكرى وانتهاء بشكل الحكومات والنظام السياسي. ويلاحظ على الخطاب المصرى والعربى بخصوص المستقبل، غلبة الانشغال بمسألة الهوية المجتمعات العربية والإسلامية، فيما تسود مخاوف بفقدان السيطرة على البيانات والمعلومات الوطنية. وعلى الرغم من أن كثيرًا من التقارير المتعلقة بتأثير صعود الخوارزميات على الثقافة، خصوصًا الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة للعلم والثقافة والتربية (اليونسكو)، تشير إلى التحولات التكنولوجية ترسخ لفكرة التنوع الثقافى والتعددية الثقافية، كما أن تساعد فى الحفاظ على التراث المادى وغير المادى للثقافات المختلفة، إلا أن جانبًا كبيرًا من الكتابات العربية حول هذا الموضوع أكثر انشغالا بمسألة الهوية الوطنية.

هنا، تبرز مصر وإرثها الحضارى وبقوة. يتساءل الأثرى الألمانى جورج إيبرز فى مقدمة كتابه عن مصر الصادر بالألمانية فى عام ١٨٧٨، عن سبب الانجذاب الغامض الذى يميز أرض الفراعنة؟ ولماذا يؤثر اسمها وتاريخها وخصائصها الطبيعية ويثير الاهتمام بطريقة مختلفة تماما عن تلك التى تثيرها الأمم الأخرى فى العصور القديمة؟ ويشير إلى أن الجميع فى بلاده وفى أوروبا سمعوا عن مصر القديمة وملوكها وأثارها ومعالمها منذ نعومة أظافرهم لارتباط اسمها بكثير من الأحداث التى ذكرت فى الكتاب المقدس، لاسيما العهد القديم، وتعرفوا على شكل الهرم من الأهرامات فى مصر القديمة، فمصر على نحو وآخر تشكل جزءا تكوينيًا فى وعى البشر ليس فقط على مستوى التاريخ، وإنما كفكرة لأقدم حضارة عرفتها البشرية، هذا التميز الذى يدركه العالم أعطى لمصر شخصيتها المميزة، وهويتها. هذا الإرث الممتد يصلح كأرض صلبة يقف عليها الإنسان فى أى مكان فى العالم فى مواجهة التحديات التى تفرضها الثورة الرابعة، وفى تطوير الاستجابات لهذه التحديات، تمامًا مثلما فعل السكان الذى استوطنوا هذا الركن من العالم قبل آلاف السنين ليقدموا إجابتهم على أكبر تحدى واجه البشر فى تلك المنطقة المتمثل فى الجفاف الناجم عن تغيرات مناخية وبيئية قاسية.

إذا كان لنا أن نسأل عن السبب فيما حل بالمصريين المعاصرين، فلا نجد سوى النتيجة الأساسية للاحتلال الذى عانت مصر منه مصر قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام. هذه النتيجة تتمثل فى تهميش المصريين فى القرارات المصيرية المتعلقة بحياتهم ولم يتغير الحال فى العصور الوسطى ومنذ تأسيس الدولة الحديثة. فالسواد الأعظم من المصريين مبعدون عن المشاركة فى صنع القرارات المتعلقة بشؤون حياتهم اليومية، نتيجة لطبيعة النظام السياسى الذى يضع القرارات فى يد قلة تحكم، ومصرة على تهميش الأغلبية المحكومة، واتخاذ القرارات التى تمس شؤونهم بالنيابة عنهم. التحولات التكنولوجية تحمل من الفرص بقدر ما تحمل التحديات بالنسبة لمستقبل مصر، وهذه الفرص تتطلب إعادة نظر جذرية فى صيغة التعاقد المفروضة منذ احتلال مصر قبل ٢٥٠٠ عام بين الدولة المركزية والمجتمع، والتى تهمش المجتمع وتصادر مقدراته لصالح فكرة الدولة المركزية والقائمين على شؤونها، وتمنح الدولة سلطة تكاد تكون مطلقة فى تحديد هوية هذا المجتمع على نحو يجعل المصرى معزولا من إرثه الحضارى والثقافي. الافتراض الذى أطرحه هنا هو أن المصريين القدماء تمكنوا فى صنع الحضارة على هذا الأرض لأنهم كانوا يعملون وفق صيغة أخرى للتعاقد تمنح السواد الأعظم من المجتمع وأفراده مساحات أكبر من المشاركة فى صنع القرار واتخاذ القرارات التى تمس شؤونه، مع إدراك عدم تصادم ذلك مع ضرورة وجود دولة مركزية تنظم جهود الأفراد فى مواجهة التحديات، وتمكنه أفراده من ذلك ولا تتخذ القرارات بالنيابة عنهم.

إن من شأن تغيّر هذه الصيغة ومنح المصريين مساحة أكبر فى تقرير مصيرهم وإدارة شؤونهم أن يضع مصر على الطريق لاستعادة نهضتها الحضارية الكبرى والتقدم نحو المستقبل بخطى ثابتة وواثقة. علينا أن نفكر قليلًا فى تجارب المصريين فى الخارج والذين تتفجر مواهبهم الفطرية فى ظل نظام يمنحهم حرية أكبر فى إدارة شؤونهم. علينا أن نتحرر من الآن من ذهنية المحتل المتحكمة فى ثقافتنا والتى تصر على تهميش السواد الأعظم من المصريين وإبعادهم عن مراكز القرار، فى هذا التحول ما يعيد لمصر هويتها المصادرة والمسلوبة لصالح هويات أخرى مفروضة عليها.

التحولات التكنولوجية تتطلب إعادة نظر فى صيغة التعاقد بين الدولة المركزية والمجتمع والتى تصادر مقدراته منذ ٢٥٠٠ عام

افتتاح المتحف الكبير أظهر ارتباط المصريين بهويتهم الحضارية العابرة للزمان والثقافات

أزمة الهوية لا وجود لها إلا فى ذهن من يرغبون فى أن يحصروا مصر فى مكون وحيد فقط من مكونات شخصيتها

رغم التنوع العرقى والثقافى والقومى واللغوي، فى مراحل كثيرة من تاريخ مصر، كانت هناك دومًا وحدة وهوية جامعة بين المصريين

بقلم: أشرف راضي

قالت العرب

وَعِلّةٌ لم تَدَعْ قلباً بلا ألَمٍ سَرَتْ إلى طَلَبِ العَليا وَغارِبِها
هَل تُقبَلُ النَفسُ عَن نَفسٍ فَأَفدِيَهُ اللّهُ يَعلَمُ ماتَغلو عَلَيّ بِها
لَئِن وَهَبتُكَ نَفساً لا نَظيرَ لَها فَما سَمَحتُ بِها إلّا لِواهِبِها

المشهد
العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447هـ

ما الذى سقط فى الشام؟

عندما سقط نظام "الأسد" فى سوريا، وفر بشار إلى موسكو، تناولت فى ردودى لبعض الإعلام موقفى مما حدث، وفوجئت بالسهام تناوشنى من مواقع كثيرة، كان أبرزها وأشدها ألماً الموقع القومى العربى أو من بعض أصدقائى فيه، وهم يدافعون عن بشار ويرفعونه إلى مصاف زعماء التيار القومى العربي، ويقولون أنه كان ضحية مؤامرة كونية لتمسّكه بأهداف القومية العربية ...إلخ.

مشاهد فرح عارم أثناء إسقاط تماثيل الأسد بعد إعلان الفصائل المعارضة المسلحة دخول دمشق

وليس لدى أى غضاضة من إختلاف الرأي، بل أرحب به وأسعى إليه بإعتباره مساحات ضوء إضافية تتيح الرؤيا الشاملة، ولكن فى مواجهة إتهامات غير منصفة، تتجاوز مجرد الخلاف المحمود فى الرأى إلى حواف إغتيال الشخصية، مع حواشى لا لزوم هنا لتكرارها، وجدت نفسى أسطر المقال التالى الذى حمل نفس العنوان أعلاه "ما الذى سقط فى الشام"، ولا أدرى كيف لم أحاول نشره قبل عام.. ربما لحرصى على عدم زيادة شقة الخلاف، أو لمجرد أحوالى الصحية التى لم تكن مستقرة أغلب فترات العام المنصرم (وحتى الآن) ..

ولقد وجدت بى رغبة فى محاولة نشره، ربما لمجرد ترك تسجيل برأى ينضم إلى آراء أخرى قد يكون لها فائدة ما..

ما الذى سقط فى الشام حقاً؟

ربما يكون من المفيد فى البداية طرح بعض الملاحظات الهامة قبل الخوض فى التحليل:

اولا: ليس مفهوما غضب بعض المحسوبين على "القوميين العرب" حيال أى محاولة لإنتقاد نظام الأسد، أفلم يكن نظام الأسد (أب وابن بل وعائلة إذا أضفنا رفعت الأسد) فى سدة حكم سوريا لأكثر من نصف قرن؟، وأى حساب للنتيجة التى وصلت إليها سوريا لا يمكن أن يتفادى مسئولية ذلك النظام.

ثانياً: هل يحاول هؤلاء الربط الشرطى بين "القومية العربية"، وبين "الاستبداد" وشيوع الظلم والفساد؟... هل هناك دعاية أسوأ من ذلك لهذه القومية؟!

ثالثاً: أن نظام الأسد لم يسقط بالأمس، بل سقط منذ زمن طويل حين قتل ما يزيد على ٤٠ ألفا من مواطنيه فى "حماه"، ثم ما يزيد على نصف مليون خلال الحقبة الأخيرة، فضلا عن عشرات الآلاف من المعتقلين، وما يزيد على ٤ مليون مواطن اضطروا للفرار من بلادهم ويعيشون حاليا فى الشتات.

رابعاً: ثم أن هذا النظام لم يسقط بسبب أنه كان يقود الممانعة ضد العدو الصهيوني، أو أنه كانت هناك مؤامرة كونية ضده، فمن الثابت أن نظام الأسد (أب وإبن) لم يطلق طلقة فى اتجاه العدو منذ انتهاء حرب أكتوبر ٧٣، وقد أثبتت الوقائع الحالية أن الكيان الصهيونى كان أكثر إطمئنانا فى وجود ذلك النظام (ولذلك سارع الكيان عندما أحس بالخطر بعد فرار بشار، إلى احتلال بعض المواقع الإضافية فى الأراضى السورية).

خامسا: ليس صحيحا أن تلك الممانعة المزعومة هى التى أدت إلى تمزيق الخريطة السورية، بل أن ذلك النظام تسبب فى اقتطاع أجزاء كبيرة من التراب الوطني، من خلال سياساته الخاطئة التى اعتمد فيها على الإجراءات الأمنية والقهر، ولم يعد يستند إلى الرضا الشعبي.

سادسا وأخيرا (وليس آخرا): كاتب هذه السطور "قومي"، و"عاشق" لسوريا منذ كانت "الأقليم الشمالي"، ويحزننى مزايدة البعض والمسارعة بإلقاء الإتهامات جزافاً بلا ترو.

ما حدث فى سوريا يعكس تلك الخصائص التى تعبر عن أزمة حكم أصبحت تجمع ما بين بعض الدول المتقدمة مع الدول المتخلفة، والأسباب كثيرة، أبرزها غياب الثقافة السياسية، وسيادة المفهوم الشمولى للحكم، وإهتزاز مرفق العدالة، ضمن خصائص أخرى تتعلق بالتاريخ والإقتصاد.

ومع ذلك يبقى بشار وأمثاله نماذج متطرفة، لذلك تتفجر من حولها الدماء.

ولا يبدو أن هناك دواء ناجع لهذه السموم التى تنخر بعض المجتمعات فى هذا الصدد، لأن تلك الخصائص السابق الإشارة إليها ليست مجرد أعراض طارئة يمكن مواجهتها بمضادات حيوية مناسبة، فعلى سبيل المثال "الثقافة السياسية" التى تتعامل معها أغلب هذه المجتمعات بإعتبارها "زائدة دودية"، لا يمكن علاجها من خلال إجراءات فوقية، مثل المؤتمرات والندوات، وما يشبه معسكرات الكشافة.

"الثقافة السياسية" هى نتاج تضافر عوامل عديدة أبرزها الممارسة الديمقراطية فى إطار كوابح دستورية مناسبة تحول دون التطبيقات المشوهة.

كذلك تلعب العملية التعليمية دورا هاما فى تأسيس المفاهيم الجوهرية التى تصبح كالنقش على الحجر بالنسبة للأجيال الناشئة.

كما يلعب الإعلام دورا ترويجيا هاما فى هذا الصدد، من خلال تناول ناضج (غير تعبوي)، كى تصل المعلومات الضرورية للمجتمع (حكاماً ومحكومين).

وأخيرا، وليس آخرا، تحتل مكانة لا تقل أهمية الصور التى تعكس المواقع السياسية والتشريعية، وكذلك الحزبية وجماعات الضغط المختلفة (كالنقابات والجمعيات الأهلية غير الهادفة للربح)، فبقدر سلامة وشفافية تلك المواقع وتحليها قدر الإمكان بالتطهر من آفة الفساد والشللية، بقدر ما تؤثر إيجابيا فى الوعى السياسى للمجتمع.

وغنى عن الذكر أن مسألتى "المفهوم الشمولى للحكم"، وتوازن مرفق العدالة وتنزهه عن عاهات السياسة، يتأثران كثيرا بما تقدم حول "الثقافة السياسية"، التى يمكن اعتبارها فى ذات الوقت سبباً ونتيجة لحماية المجتمع من تلك الآثار المدمرة مثل التى كشفت عنها أحداث سوريا.

وربما يمكن أن نرى بوضوح الآن، ما الذى سقط فى الشام، وليس فيه ما نبكى عليه، بعد أن أبكانا، وأبكى الملايين من السوريين (واللبنانيين) ردحا من الزمان، وذهب غير مأسوف عليه.

بقلم: معصوم مرزوق
* مساعد وزير الخارجية الأسبق

شهادة المشير طنطاوى حول اكتفاء مصر الذاتى من القمح

تردد فى الآونة الأخيرة أن مصر يستحيل أن تكتفى ذاتيا من محصول القمح ولا بد من استيراده من الخارج، وللعلم فإن مصر تستورد حوالي٦٨٪ من احتياجاتها من القمح .

أما أسباب هذه الحالة فقد فسر القائلون بهذه النظرية الأسباب وهى نقص المياه وعدم توافر التربة الصالحة وعدم خبرة الفلاح المصرى .

فقد شاهدت المشير طنطاوى وزير الدفاع الأسبق عندما كان رئيسا للدولة المصرية خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتصريحاته للقنوات المصرية لمن يريد أن يرجع إليها .

قال المشير إنه فى عام ٢٠١١ لم تكن الدولارات لدينا كافية لاستيراد حصتنا من القمح من أمريكا، فأمر الجيش ان يزرع قمحا على المطر بالساحل الشمالى وحده وفى هذه الحالة لا تضطر مصر إلى استيراد حبة قمح واحدة .

ولكن الرئيس أوباما فى ذلك الوقت اتصل بالمشير وقال له "سيادة المشير هل تنوى الاستقلال عن الولايات المتحدة عن طريق الاكتفاء الذاتى من القمح". وفهمنا وقتها من هذه الواقعة أن أمريكا تفرض علينا نسبة معينة من استهلاكنا، فالمسألة سياسية أكثر من كونها فنية.

تلك شهادة المشير طنطاوى الذى كان رئيسا للمجلس العسكرى الحاكم خلال الثورة. ومعنى ذلك ان مصر تستطيع الاكتفاء ذاتيا من القمح بدليل الاعتماد على زراعة الساحل الشمالى فقط على مياه الامطار . وبدليل آخر اتصال الرئيس أوباما بالمشير طنطاوى ومن أراد الرجوع لهذا التصريح فليرجع إليه محفوظا فى سجلات القنوات المصرية ولكن أمريكا تضغط على مصر حتى يظل القرار بيدها .

وتستطيع مصر ان تكتفى ذاتيا فى كل قطاعات الزراعة كما كان فى السابق، بشرط تأمين المياه وحصة مصر ثابتة فى هذا الموضوع .

والشرط الثانى هو أن الأرض متوفرة تماما، وقد قطعت النظم السابقة أشواطا كثيرة فى استصلاح الصحراء وتوفير الأرض القابلة للزراعة .

بل إنه فى مصر مركز للبحوث الزراعية لتطوير سلالات البذور. أما الفلاح المصرى فان له خبرة فى الزراعة لآلاف السنين، المهم أن تشجعه الحكومة وتعينه، لا أن تتربص به وتستغله وتتربح على حسابه.

كانت القرية تمد المدينة بكل لوازمها وكان كل بيت فى القرية يكتفى ذاتيا من كل شيء. ومصر أساسا بلد زراعي، فلا بد أن تركز على الزراعة والصناعات الزراعية.

وتشهد الستينات من القرن الماضى بأن مصر تم اختبارها ونجحت فى ذلك خاصة والقطن طويل التيلة ينسب لمصر وكانت هناك صناعات ملابس قطنية متطورة ورخيصة.

فليت الحكومة تنتبه إلى هذه الحقائق، حتى تتحسن أوضاع الناس، ولا يفر من تبقى من الفلاحين من حقولهم تحت وطأة الظلم والتضييق وعدم التشجيع.

بقلم: السفير د. عبدالله الأشعل

استدعاء الاستدعاء.. نقد ما جرى للدكتور عمار علي حسن

لا يكاد يخلو عصرٌ من العصور من وجود علاقة شدّ وجذب بين الأديب المفكر والسلطة الزمنية، ويخبرنا التاريخُ أنَ الحاكمَ قد اعتدى على الكثيرين من المفكرين الأحرار، حين وجد في أفكارهم تهديداً لسلطانه، وخروجاً عن أطروحاته الحاكمة وسياساته العامة التي رسمها للشعب الذي يحكمه.

وحين كتب المفكر والروائي الدكتور عمار علي حسن عبر صفحته الشخصية على الفيسبوك عن استدعائه للمثول أمام نيابة أمن الدولة العليا للتحقيق معه في القضية رقم ١٠٢٠٤ لسنة ٢٠٢٥م، والتي اختصمه فيها معالي الفريق وزير النقل بخصوص نشر الدكتور عمار أخباراً كاذبة عن الوزارة مما تسبب في تكبدها مئات الملايين بسبب نشره لتلك الأخبار، توالت ردود الأفعال من جميع محبيه وربما بعض حاسديه عبر تاريخه الفكري والأدبي، يؤيدون موقفه ويتضامنون معه، ومع مرور الساعات زاد عدد المتضامنين حتى جاوزوا القدرة على الحصر، بمواقف حية عبر الاتصالات المتنوعة والحضور الفعلي، وكذا ثبت في يقينهم أن السلطة بهذه الاستدعاء تعتدي على حرية الفكر والرأي.

لكن الدكتور عمار وهو الأستاذ في العلوم السياسية يدرك كيف يتعامل بحكمة مع مواجهة السلطة، فهو مفكر عضوي ذو نشاط ثقافي بارز في محيطه، وله تأثير واسع عبر مواقفه المعروفة للجميع، وزهده وترفعه عن كل ما يسلبه قيمته الكبرى، فلم يبحث يوماً عن منصب أو مكانة سياسية، ولم يهادن السلطة بمبادئه يوماً، كما أنه لم يخرج عليها هذا الخروج المخل بالشرعية والذي يهدم ولا يبني، بل كان حكيماً في تعاطيه مع السلطة.

ولكن علينا أن نحلل هذا الاستدعاء لنقف على كنهه ونحاول فهم معانيه الظاهرة والخفية.

فأولا: في عصر الفضائيات المفتوحة والانترنت والفيسبوك وتويتر وغيرها يصعب إخفاء أي حدث مهما كان دقيقاً أو صغيراً. ويمكننا معرفة ما يدور خلف الكواليس.

ثانيا: صار باستطاعة الناس – الجماهير – الشعب – الناخبين – قوى الشعب – الأمة، أن تعبر عن رأيها ويصل رأيها للسلطة مباشرة، دون الحاجة إلى مراقبين ومحللين، والناس وخاصة في بلادي لا تستطيع كتمان مشاعرها وتوجهاتها الحقيقية.

ثالثا: كان الأستاذ القدير نجيب محفوظ يؤكد في روايته الخالدة" أولاد حارتنا" أن آفة حارتنا النسيان، وهو إذ يؤكد على تلك الآفة التي كان يخشاها إنما كان ينهانا في الرواية عن النسيان، فإني أبعث إليه في مرقده عبر هذه المقالة لأؤكد له أن حارتنا تجاوزت هذه الآفة وقد تقدمت وسائط تكنولوجية عديدة تستطيع حفظ كافة الأحداث التي تجري في كل أركان العالم على جهاز صغير جدا يوضع في الجيب، ويتمُّ استدعاءُ كل المعلومات ببساطة ويسر وسهولة.

رابعا: إن السلطة الحالية مشغولة ببناء جمهورية جديدة، وهي إذ تبني مدناً جديدة، وترتقي بكافة مناحي الحياة المعاصرة فإنها لم تهمل الماضي، بل كنا نحتفل في الأول من نوفمبر مع العالم كله بافتتاح المتحف المصري الكبير، ونفخر بما به وبما حواه من نفائس عظيمة، فكيف لهذه السلطة أن تستدعي كاتباً في قيمة عمار علي حسن للتحقيق معه في قضية يختصمه فيها وزير بحجم الفريق كامل الوزير، متهماً إياه بالتسبب في خسارة الوزارة ملايين الجنيهات!

خامسا: تأكدت السلطة وتأكد الكاتب الروائي الكبير أن الحياة هي الناس، وأن الناس حين تجتمع على شيء تحميه وتقويه، وتزيده قوة وعطاءً، وهذا ثبت لكل ذي بصر وبصيرة من التضامن الواسع مع الدكتور عمار تجاه هذه التحقيقات.

سادساً: يمثل هذا الاستدعاء خطورة شديدة على السلطة الحالية، فنحن لا ننظر للسلطة باعتبارها مجرد مجموعة أفراد يديرون الوقت، ويسهرون على تدبير معايش وشئون وتصريف أمور الشعب، بل يجب علينا- وهكذا يجب أن تكون – قاطرة عبور بالشعب المصري لتحقيق أمرين هامين: – الأول: هو العبور إلى المستقبل الذي يحاكي ما صنعه أجدادنا وخاصة في عصر بناة الأهرامات. والأمر الآخر: هو العبور بالمصريين من كونهم شعباً إلى صيرورتهم الضرورية أن يصيروا أمة. فالشعوب لا تصنع حضارة بل مجرد استمرارية، أما الأمم فهي التي تمتلك ثروات ضخمة تصنع بها حضارة تبقى حقباً طويلة في التاريخ الإنساني الممتد.

لذا ننظر إلى هذا الاستدعاء بوصفه خروجاً وانتهاكاً للأسس الإستراتيجية التي يتبناها فخامة رئيس الجمهورية؛ لتتبوأ مصر مكانتها ليس في المنطقة فحسب بل في العالم كله.

سابعاً: ننظر نحن الأدباء والمفكرين والأكاديميين لهذا الاستدعاء بأنه تعطيل ممنهج لمسيرة البناء الفكري للإنسان المعاصر، وقد امتلأت الصحائف القديمة والحديثة بل والمعاصرة بالحديث حول الحريات، ومنع القمع، وقد أكد ألبرت هيرمان أينشتاين العالم الفيزيائي الأشهر أن الخيال أهم من المعرفة؛ فالمعرفة منتهية ومحدودة، أما الخيال فهو الذي يقود للمستقبل، ولو لم يفكر عباس بن فرناس وأمثاله في الطيران ربما تأخرت البشرية أكثر، وقل مثل هذا في كافة مناحي التطور الهائل في المجتمعات.

ثامناً: حين يقترب الإنسان البسيط من عمار علي حسن يجده جالساً مع الأصدقاء على المقهى يحتسي المشروبات الساخنة ويقول النكتة ويروي الفكاهة، ويعطي المعلومة الماتعة، ويستمع للجميع بوصفهم زملاء في حين يكون أغلبهم تلاميذ على علومه ومعارفه وإبداعه، فالرجل جد بسيط بساطة العوام، ولكنه ممتلئ بالخير والعلم والإبداع، ويحمل في داخله إرث الفلاح المصري عبر القرون الطويلة الضاربة في التاريخ، وما رواية ملحمة المطاريد ببعيدة عن هذا كله.

وإني أوجه سؤالا للسلطات التي تجرأت على استدعاء هذه الحالة الفكرية والإنسانية العميقة التي تتمثل في كينونة عمار علي حسن، كيف غاب عنها قيمة الرجل الفكرية والإنسانية؟

وكيف غاب عنها أن عمار علي حسن وزملاءه المفكرين والمبدعين يمثلون دون المستكشف لربان السفينة؟ وأنه باستدعائهم ومثولهم أمام جهات التحقيق قد يعرقلون مسيرة عطائهم الفكرية والإبداعية؟

وقد أكدّ الرئيسُ في مناسبات كثيرة أنِ مصرَ ستعبرُ إلى مستقبلٍ جديد، وكيف يكون المستقبل جديداً دون أن نسافر إليه بأذهانٍ متقدةٍ وخيالٍ منفتح، وإبداعٍ عظيم؟

إني عاتبٌ على السلطة، وأعلم أنها لن تعاود هذه الأمور.

وأوجه رسالة للأديب المفكر الدكتور الألمعي عمار علي حسن، وأؤكد لسيادته أن عطاءه موفور، وأن سنوات عمره كانت زراعة أتت ثمارها في عقول وأفئدة كل من اتصل به أو بفكره أو إبداعه، وأنه على الصعيد الإنساني رجلٌ وإنسانٌ قلما تجود به الأيام.

كن قرير العين مطمئن النفس؛ لتزداد إشراقاً بإبداعك في غياهب تلك الحياة، فدورك مثل قدرك إشعال الضياء لتبديد الظلام.

بقلم: د. علاء الدين سعد جاويش
* روائي وناقد أدبي

بورسعيد.. عودة النصاب إعادة إنتاج للهزيمة باعتبارها حكمة سياسية !

كان يمكن للحديث عن تمثال ديليسبس أن يبقى حوارًا ثقافيًا محدودًا، لولا أن المسألة انفجرت على نحو يكشف ما هو أعمق من قطعة برونز قديمة وما هو أبعد من قرار محلي. فكلما اقتربت الأصابع من منصة بورسعيد الخاوية، بدا كأنها تلامس عصبًا حساسًا في الوعي المصري، ذلك العصب الذي يفرّق بين الذاكرة الحيّة والذاكرة المُصادَرة، وبين ما تريد الأمة أن تتذكره وما يريد البعض أن تُجبَر على نسيانه.

إن إعادة ديليسبس ليست عودة تمثال، بل عودة سردية كاملة؛ سردية المستعمر حين يتجمل في هيئة "مُحسن"، وحين يتحول العدوان في دفاتر البعض إلى مشروع حضاري يستحق الاحتفاء.

المنصة التي ظلت خاوية منذ أن أُزيل التمثال عقب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ لم تكن فراغًا عبثيًا، بل فعلًا مقصودًا، إعلانًا في الهواء الطلق بأن مصر لا تُخلّد من خدعها ولا ترفع فوق أرضها اسمًا من أسماء التواطؤ الاستعماري.

كان ذلك الفراغ نصًا بلا حروف، لكنه واضح بما يكفي ليقول إن التحرير ليس مجرد حدث في التاريخ، بل معنى يجب أن يحرسه الوعي.

المعركة اليوم حول إعادة التمثال إلى منصته التي انتزع منها ليست سوى دعوة بائسة إلى إلغاء هذا المعنى، واستبداله برواية ترى في الرجل فضلًا، وفي الاحتلال مشروعًا، وفي دماء العمال الذين حفَروا القناة مجرد تفاصيل يمكن محوها بقرار إداري.

الحجج التي يرفعها دعاة إعادة التمثال ليست جديدة. هي ذاتها التي رددها المستعمرون قبل قرن ونصف: إن ديليسبس "صاحب فضل"، وإن القناة مدينة له.

هكذا تُعاد صياغة السُخرة باعتبارها "مساهمة"، ويصبح موت عشرات الآلاف حادثًا جانبيًا في مسيرة "تقدم"، ويغدو الرجل الذي خدع الخديوي سعيد، وانتزع الامتياز بشروط مهينة، ومنح الأساطيل البريطانية طريقًا آمنًا نحو احتلال مصر، رمزًا صالحًا للاحتفاء.

إنها محاولة مكشوفة لوضع التاريخ في قوالب زائفة، حيث تُجرّم المقاومة ويُعاد إنتاج الهزيمة باعتبارها حكمة سياسية.

في الجوهر، فإن ما يطرحونه ليس مجرد رأي، بل رؤية للعالم: رؤية تعيد الاعتبار لمنطق التبعية، وتجرّم المقاومة، وترفع الهزيمة إلى مقام الرشد السياسي.

والمنصة الخاوية في بورسعيد، التي يحاول البعض ملأها اليوم، ليست نقصًا في معلم سياحي، بل جزءًا من ذاكرة المدينة التي قاتلت ببسالة في وجه العدوان الثلاثي.

لقد بقيت تلك المنصة فارغة لأنها تحمل معنى لا يستطيع التمثال أن يحمله؛ ولأنها تقول، بصمتها، إن البلاد قاومت. إعادة التمثال ليست ترميمًا لمشهد، بل محاولة لملء الفراغ بالهزيمة، وإعادة إنتاج سردية تُجمّل المستعمر وتهين أصحاب الأرض.

إنها خطوة لا تُحرّك السياحة، بل تربك الوعي، وتحوّل تاريخ المقاومة إلى ديكور فوق منصة، لا تاريخًا يحرس مدينة.

ذلك الفراغ ليس عيبًا يستدعي الإصلاح، بل حضورًا آخر من نوع مختلف: حضور الكرامة حين تتجسد في مكان. وإعادة التمثال لا تعني تحسين وجه المدينة، بل تشويهه؛ ولا تعني تطوير السياحة، بل إرباك الوعي؛ ولا تضيف إلى تاريخ مصر شيئًا، بل تحذف منه الكثير.

أما ديليسبس نفسه، الذي يسعى البعض إلى تمجيده، فليس شخصية رمادية تقبل التأويل.

لقد كان نصّابًا دوليًا بكل المقاييس: خدع الخديوي سعيد وانتزع امتياز القناة بشروط مجحفة، ثم استباح دماء عشرات الآلاف من المصريين في أعمال السُخرة. وعندما نهض أحمد عرابي مدافعًا عن الوطن، تعهّد بأن تبقى القناة محايدة، لكنه فتحها للأساطيل البريطانية لتمرّ إلى قلب الدلتا، فكانت الخيانة أحد المداخل الكبرى للاحتلال. وحتى في أوروبا، حين تورّط في فضيحة قناة بنما، لم يُعرَف إلا كنموذج للنصب والاحتيال في القرن التاسع عشر.

ومن ثم، فإن الذين يطالبون اليوم بعودة تمثاله لا يعيدون رجلًا إلى منصة، بل يعيدون الاستعمار إلى الذاكرة الوطنية. يعيدون رواية حاولت مصر أن تطويها، لأن ثمنها كان دمًا واحتلالًا ونضالًا طويلًا.

والخطر ليس في وجود تمثال أو غيابه، بل في أن تُقدَّم للأجيال القادمة خلاصة معكوسة: أن المستعمر "صاحب فضل"، وأن المقاومة "مغامرة". وهنا تتحول القضية من نقاش حول البرونز إلى سؤال أعمق: أي مصر نريد أن نُسلّمها لوعي الأجيال؟ مصر التي قاومت العدوان وحمت قناة السويس بدماء أبنائها، أم مصر التي تُكرّم من خدعها وسرقها وخانها؟

إن معركة ديليسبس اليوم ليست معركة حول تمثال، بل معركة على الجغرافيا الرمزية لمصر: من يروي القصة؟ ومن يملك الحق في كتابة ذاكرة وطن قاوم ودفع ثمن حريته؟ من يقف مع منصة خالية تحرس الشرف الوطني بصمت، ومن يقف مع تمثال يريد إعادة المستعمر إلى قلب المدينة؟

لقد خرج الاحتلال من الأرض، لكنه يحاول أن يعود إلى الوجدان. وهذه هي أخطر أشكال الهزيمة: أن نقبل نحن بأن نضع رموزه على صدورنا.

وهكذا يصبح السؤال الأخير واضحًا، لا يحتمل الالتباس:هل تريد مصر أن تكون البلد الذي حمى قناة السويس بدماء أبنائه، أم البلد الذي يكرّم من خدعها وسرقها وخانها؟

بين هذين الخيارين لا تقف تماثيل، بل تقف هوية كاملة.

بقلم: محمد حماد

المشهد
العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447هـ

قالت العرب

وَوَاللّه ما أَضمَرتُ في الحُبّ سَلوَةً   وَوَاللّه ما حَدّثت نَفسيَ بالصبرِ
فَإنّكَ في عَيني لَأَبهى مِنَ الغِنى   وَإِنّكَ في قَلبي لَأَحلى مِنَ النَصرِ
فَيا حَكمي المَأمولَ جُرتَ مَعَ الهَوى   وَيا ثِقَتي المَأمونَ خُنتَ مَعَ الدَهرِ

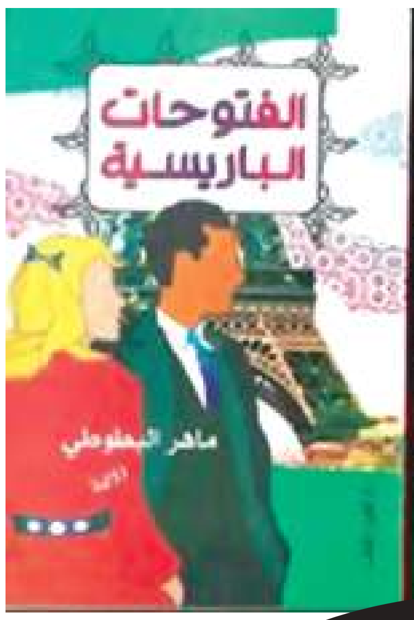

ماهر البطّوطيّ النّبيل السّامِي
عن عملاق لا "يعانق غير الغمام" وتنساه بلاده

نُبلاءُ مِصرَ المنسيّونَ كثيرُونَ... ومُعظمُهم جَدِيرُونَ بإعادةِ الحقّ إليهم منَ العِرفَانِ والمدارَسَةِ والتّكريم

بعدَ نشاطِ وسائلِ التّواصُلِ الاجتماعيّ في مِصرَ سنةَ ٢٠٠٦م حدثتْ ثورةٌ مُذهلةٌ؛ إذْ تمكنّا منَ الاقترابِ من عوالمَ كنّا نَظنُّها عوالمَ سحريّةً أُسطوريّةً لأشخاص جاءَتْ من عوالمَ ملَائكيّةٍ خالصَةٍ لتبُثّ نُورَها على الكَونِ دونَ أنْ يَستطيعَ النّاظرُ الوصولَ إلى مَصدرِ ذلك النُّورِ المنبعِثِ، كما لم تَحرِصْ هيَ على ذلكَ...!

من هؤلاءِ النُّبلَاءِ الملائكيّينَ ماهر البطُّوطيّ الذي شَغفَتني كتبهُ المؤلّفةُ والمترجمةُ ورواياتهُ ومقالاتُهُ وأَبحاثهُ، وإخلَاصُهُ للحَرفِ، كأنّهُ أحدُ الحرفيّينَ المحترفينَ في سُوقِ الذّهَبِ، أو فنّاني الأرابيسكِ، و ناقشي الكتابةِ الدّقيقة، أو الرّسّامينَ على المعادنِ، ولا أعني عنايتَهُ بالشّكلِ بالطّبعِ؛ فهُوَ قادرٌ على أنْ يبتكرَ أشكالَهُ الفنّيّةَ المناسبةَ لإبداعاته بخبراتِه العَميقَةِ باتجاهاتِ النّقدِ الأدبيّ والثّقافيّ والفنّيّ ومدارسه وفلسفته، وإنّما أعني دقّتَهُ في الجوهرِ، وفنّ التّفاصيلِ التي تُبقِي آياتِ تفرُّده محفورةً قرُونًا عدّةً، يزيدُها الزّمنُ نفاسَةً وقيمةً؛ كما سيأتي بيانُهُ...!

علّقتُ على أحَدِ منشُوراته مُلقّبًا إيّاهُ بالدُّكتور، حينَ وجدْتُ صُورتَهُ على فيسبوك، واسمهُ مكتُوبًا باللّغةِ الإنجليزيّةِ التي تخصّصَ فيها، وتمهّر في لُغَاتٍ أُخرى غيرِها، وصارَ مع لِدَتِهِ ماهر شَفيق فريد، وأضرابِهِ؛ كزهيرِ الشّايب، ومحمّد عناني، وعبدالغفّار مكّاويّ، ورمسيس عوض، في عالمٍ سِحريّ يتلألأُ، ويزدادُ بريقًا معَ الزّمَنِ...!

ردّ على تعليقِي بجُملة خبريّة رَصينة ممتلئة بالكبرياءِ وزُهدِ المتحقّق: لَسْتُ دكتورًا، وأَعتذرُ للدّكاترة، ولكنّها صِفةٌ ليسَتْ حقّي، وإنْ كانتْ تُلاحقني، فلنْ أقبلَها دُون وَجه حقّ...!

أربكتنِي هذهِ الجملةُ وتنازعتني بينَ مزيدٍ منَ التّقدير، وكثير من التّساؤلاتِ، فقدْ أضافَ الأُستاذُ إلى شِيَمِه شِيمةَ التّواضُعَ التي حُرمناها ممّنْ لم يقدّمُوا مِعْشَارَ عَطائه، وتنبثقُ التّساؤلاتُ من تَساؤُلٍ ساذجٍ يمثّلُ المرحلةَ والسِّياقَ: كيفَ لمَنْ تتبّع مخطوطاتِ الرّوايةِ الأُمّ" ألفَ ليلةٍ وليلة"، وترجماتِها، وتأثيراتِها، ومصادرِها في الآدابِ العالميّةِ؛ مكتوبةً ومرئيّة، ألّا يكونَ دكتورًا؟!

وظلّتْ حيرتي وربَكتي حتّى أجابَني ساردُ روايتِه "الفُتُوحات الباريسيّة" إجابةً مُضمرةً مُوجعةً:" أصبحَ أَمَلُ كلِّ شابٍّ تخرّجَ في الجامعةِ، هو الحصُولُ على الماجستيرِ ثمّ الدكتوراه. لَم يكُنْ يَهمّ إذا كانَ الشّخصُ مُؤهّلًا لاستكمالِ دراستِه العُلْيا أَمْ لا، أو صالحًا للسّيرِ على طريقِ البَحثِ أَمْ لا؟ ولكنّ المهَمّ هو المركزُ الاجتماعيُّ الذي يُصَاحبُ لَقَبَ دكتور. وإذا بالجميع يلتحقُونَ بالكليّاتِ لإكمالِ دراساتِهم، وإذا بهذَا المجالِ يرى أُناسًا لايَعْرفونَ أساسيّاتِ البَحثِ العلميّ الحقيقيّ، وإذا بنا نرى رسائلَ وأبحاثًا لا تمتُّ للمجالِ العلميّ بِصِلَة، بل هيَ قُشُورٌ سَطحيّةٌ وتجميعاتٌ وسَرِقَاتٌ من هُنا ومن هُناك تلَصقُ بعضها ببعضٍ على هيئةِ رسالةٍ، وما هيَ بالرّسالةِ في شيءٍ"...!

وإنْ كان يُعبّرُ السّاردُ عن فترةِ السّبْعينيّاتِ منَ القرنِ الماضي؛ فما بالُنا بالعُقودِ الثّلاثةِ الأُولى منَ القَرنِ الحالي؟!

ويمكنُنا استشعارُ المفارقةِ الممضّةِ بما كشفَ عنهُ الإحصاءُ الأخيرُ سنة ٢٠٢٦م لحملة الماجستيرِ والدكتوراه، ولعلّ فيه ما كانَ يَخشاهُ السّاردُ ويَستشرفُهُ؛ إذْ جَعلَ بَطَلَ روايتِه مُصَابًا بالبُحرانِ ليُمكّنَهُ منَ اختراقِ الحواجزِ الزّمانيّةِ؛ فَينتقلُ بنا من الحاضِرِ إلى الماضي والمستقبلِ بحريّةٍ لا تعرفُ للزّمنِ حُدودًا فاصلةً، بل أَحداثًا مُترابطةً، ومُتكرّرةً، كأنّها عُروضٌ مسرحيّة يتغيّرُ فيها الأبطالُ والحِوارُ، وتظلُّ الأحداثُ في سَيرِها وصَيرُورتِها لمَنْ يتأمّلُ مَنطقَها...!

مِنَ الرِّوايةِ الأُمّ إلى الرِّوايةِ المعرفيّة:

وبعدَ مرورِ عقدينِ من الزّمن، قرَأْتُ روايتَهُ المعرفيّةَ النّادرة "الفتوحات الباريسيّة" التي يَعزُّ نَظيرُها في الأدبِ العربّي"؛ فاقتربتُ من رُوحِه أكثرَ؛ إنّه رُوحُ فنّانٍ مخلصٍ، وَهَبَ نفسَهُ لمحبّةِ الفنُونِ والآدابِ والقيمِ الإنسانيّة في أعلى صُورِها بعيدًا عن أدلجةِ تسلبُهُ ذرّةً منْ شَفافيّتِه، أو تَعصُّبٍ، أو اضطِرارٍ، أو ما يُلْجِئُهُ إلى ما لا يُحبُّ؛ فكما شملَتْ رِوايتُهُ مزيجًا من الفنّ والأدبِ والتّاريخِ، والسّياسةِ، وعاداتِ الشّعوبِ، وطبائعِ النُّفوسِ الإنسانيّة، جاءتْ ترجماتُهُ لأشعارِ لُوركَا، ونصوصِ رامونِ سندر، وبلدوميرو، وروبين داريو، وجوستافو أدولفو، ووالت ويتمان، وبابلو نيرُودا، وقصصِ وروايات لجيمس جُويس، وهمنجواي، وأمثالهم ليعكسَ محبّتهُ للفنّ الإنسانيّ الذي يَمسُّ الجوهَرَ لا الشّكلَ، والإنسانيّة في لُبّها لا في بيئاتِها، ولُغاتِها، ودِياناتِها، وأَعراقِها، وفِئاتِها، وإن لم يَغِبْ عنهُ التّنافذُ الثّقافيُّ والحضاريُّ والتّناسلُ النّوعيُّ والجنسيُّ للفنُونِ والآدابِ. يؤهّلهُ لذلكَ كلّه تكوينٌ فنّيّ نادرٌ، يَسبرُ بهِ خُطوطَ اللّوحاتِ الفنيّةِ لعُظَماءِ الرّسّامينَ العالميّينَ، و آيات نوابغِ الموسيقيّينَ والسّينمائيّينَ في فرنسا وهولندا وألمانيا والولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّة وغيرِها من بُلدانِ العالمِ...!

استنطاقُ الصّمت:

هذه الدّرايةُ الواسعَةُ للبطُّوطيّ بدُرُوبِ السّردِ والنّقدِ بأنواعِهِ وَرَاءَهـا مَوهبةٌ تجاوزَتِ النّاطِقَ المكتُوبَ إلى الصّامتِ السّاكنِ، فاستنطَقَ لحظَاتِ الصّمتِ والسُّكونِ في المشاهِدِ والصّورِ والقصَصِ والشّعرِ واللّوحات؛ كما يَستنطقُ المخرجُ القديرُ الإضاءَةَ، والملابسَ، والأثاثَ، والأزياءَ؛ ليستنطِقَ ما لم يَبُحْ بهِ النّصُّ مكتوبًا ومنطُوقًا...!

وفي رِوايتِهِ:" الفتُوحات الباريسيّة" المنشورة في دار العين بالقاهرة ٢٠١٧م يحملُ بطلَاها: مُحبٌّ، وسامحٌ (ولاحظ الاسمين) كثيرًا من خِصَالهِ التي وزّعها عليهما من ناحيَةٍ، وعلى أبناءِ جيله، من ناحية أُخرى ممّنْ لفَحتْهم نيرانُ الهزيمةِ في ٥ يونيو ١٩٦٧م وما أَملُوهُ بعدَ انتصار أكتوبر العظيم ١٩٧٣م في ظلّ هواجسَ مُلحّة أن تتحطّمَ آمالُهُم، وتتكرّرَ خيبتُهم بعد ثورة يوليو المجيدة ١٩٥٢م، إثرَ ما أَصَابَها من علل، وأمراض على عكس ما أملَهُالجسدُ المصريُّ فيها منَ الصّحّةِ والعافيةِ، والسّعادةِ الأبديّة...!

ومع كلّ هذا الزّخمِ السّياسيّ الذي يَتسلّلُ عبرَ الأحداثِ التي توجّهُ الشّخصيّات، وتصنعُ انفعالاتِ حاضرها، ومؤشّراتِ مُستقبلِها، يؤكّدُ البطُّوطيُّ أنّهُ لا يتَعمّدُ ذكرَ وقائعِ سياسيّة، ولا يُحبُّ أن تكونَ روايتهُ ذاتَ طابعٍ سياسيّ، أو تاريخيّ، أو أيديولوجيّ مهما كانَ، بل يحرصُ أن تكونَ روايةً إنسانيّةً فحسبُ.

ومن ثمّ؛ فقد نحت نزعةُ البطُّوطيّ نحوَ قيم الحريّةِ الفرديّةِ والجماعيّة؛ ممّا جعلَ رِوايَتَهُ صالحةً للتّرجمةِ لكُلّ لُغاتِ العالم لكونِ أزمتِها هي أزمَةَ الإنسانِ الفردِ في مُواجهَةِ مُواضَعَاتِ الجماعة، وصِراعِ الجماعَةِ ذاتِها مع نَفسِها ومع الجماعاتِ الأُخرى...!

ولتوضيحِ القضيّة من خلالِ أحداثِ الرّوايةِ نتأمّلُ هذه المُقارنةَ بينَ موقفِ البطلِ" مُحبّ" الذي آمن بحقّه الأصيلِ في أن تكونَ له علاقةٌ كاملةٌ مع صديقته الفرنسيّة "شانتال"، واستنكرَ في الوقتِ ذاتِه أن تُبدِيَ خطيبتُهُ "سهير" مجرّدَ إعجاب بأستاذِها ومشرفِ رسالتِها للماجستير والدّكتوراه البروفيسور "عزيز"، كما يتجلّى صراعُ الجماعةِ من خلالِ مقارنَةِ سرَدِه عن فرنسا مَهزُومةً ومُنتصِرةً، ومُستعْمِرةً ومُستعمَرَةً، ومواقفها المتناقضَةِ إزاءَ القَضيّةِ الواحدةِ؛ كقضيّةِ الآثارِ التي سُلبَتْ منها وحَرَصَتْ على استرجاعها، و موقفها من آثارنا المصريّةِ التي ما زالتْ تزيّن مَيادينَها ومَتاحفَها، مع وجودِ عَلَاقات متينة من الصّداقةِ والاتفاقيّاتِ الدّوليّة...!

ومعَ كلِّ ما سَبق؛ فلم يُصَبْ بطلَاهُ: محبٌّ وسامحٌ بشيفونيّة تَعزلُهُما عن الواقعِ، بل يسألُ مُحبٌّ صَديقَهُ سامحًا: "لماذا لم تُصبحْ مصْرُ بلَدِي كمثلِ فرنْسا، وقد كانا مُتشابهينِ في العِشرينيّاتِ والثّلاثينيّات؟!"

ولعلّ في إجابة هذا السُّؤالِ رؤى كثيرةً في رؤية الأنا لنفسها في مرآة الآخر، وموقفها ممّا آلت إليه قياسًا بهِ...!

عُزلةُ البطَلِ:

في روايته التي سبقتها :"عُزلَة النّسْرِ" المنشورة في هيئة الكتاب ١٩٩٤م، نقفُ أمام الطّبعَةِ الثّانيةِ المنشورة في دار ميريت ٢٠٠٣م، وبخاصّة المقدّمةُ الفريدةُ التي كتبها نِدُّهُ ولِدَتُهُ العبقريُّ ماهر شفيق فريد؛ إذْ لم تحجبْهُ المعاصرةُ، كما لم تمنعهُ الزّمالةُ والصّداقةُ من أنْ يلفتَ النّظرَ إلى مواقع اختلافِهما؛ ممّا يحملُنا على الثّقَة فيما يذكرُ من مواضِعِ فرادة البطّوطيّ، وتُميّزهُ مؤلّفًا ومترجمًا وناقدًا لما سبرَهُ من المناهجِ النّقديّ، وما ترجمَهُ لكبارِ نقّادِها، وبخاصّةٍ ترجمتهُ كتابَ: "الفنّ الرّوائيّ" لديفيد لودچ" المطبوع في المشروعِ القوميّ للتّرجمةِ بالمجلسِ الأعلى للثّقافة ٢٠٠٢م؛ ممّا جعلهُ في منزلةٍ رفيعةِ المستوَى على صَعِيدي: الكتابةِ الوصفيّةِ والإنشائيّةِ...!

والفَضَاءُ المكانيُّ للرّوايتينِ مختلفُ كّلّ الاختلافِ ، ففي حين تدورُ أحداثُ رِوايتِهِ :"عُزلَة النّسْرِ" في مِصرَ تدورُ أحداثُ روايةِ" الفُتُوحات الباريسيّة" في باريسَ؛ كما هو واضحٌ من عُنوانها، وفي حِرصهِ على ألّا يتَجاوزَ هذا العَقْدَ السّرديّ في عتبةِ العُنوانِ.

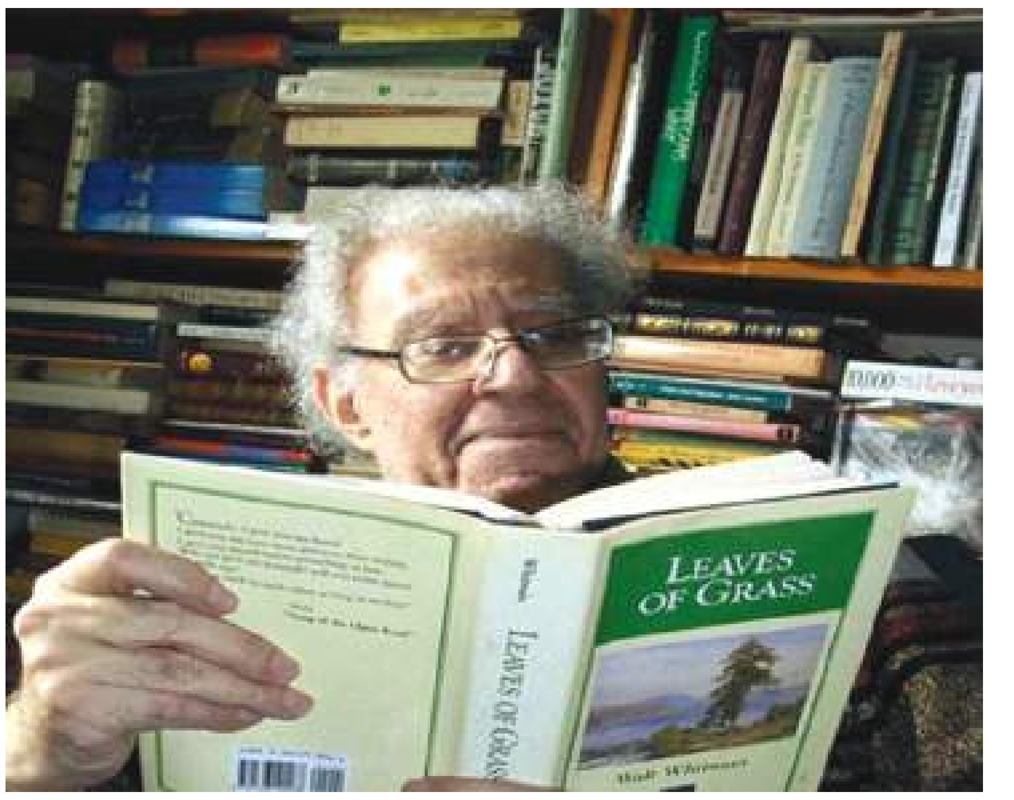

وقد يتقاطَعُ الفَضَاءُ الزّمانيّ لأحدَاثِهما، ولكنّنا نَجدُ أنفُسَنَا أَمامَ صَنادِيقَ سِحريّةٍ متداخلةٍ لكاتبٍ مُحترِف، صقلَتْهُ رِحْلتُهُ الطّويلةُ في ترجمةِ سُرودِ عباقرةِ السّردِ العالميّينَ؛ فَعَرفَ جيّدًا متَى يَفتحُ هذا الصّندوقَ ليُخرِجَ لنا ما يُبهرُنَا، ويَنتقلُ إلى غَيرهِ على أنْ نظلّ نحنُ مُعلّقينَ بكلِّ ما تُخبئُهُ الصّناديقُ الأُخَرى...!

ويتركُ البطُّوطِيُّ مع أبطَالِهِ في سَردِ محطّات أنتَ شَريكٌ فيها بالمواطنةِ والمعايشَةِ والإنسانيّة، ويَتركُكَ تَصِلُ بنفْسِكَ للأسبابِ التي آلتِ إليها الأمورُ، ولترسمَ بنفسكَ ما يمكن أن تؤولَ إليه في مستقبلها؛ إذ يتركُ الحريّةَ، أيضًا، لحركةِ الزّمنِ في السّردِ ...!

وفي الحقيقةِ، إنّنا مقصّرون كلّ التّقصير في الاحتفاءِ بهذهِ القامَةِ الفكريّةِ والأدبيّةِ والفنيّةِ والنّقديّةِ التي لم تَنَلْ منها غُربتُها، ولم نَشعرْ لحظةً واحدةً أنّها تؤولُ إلى اغتراب...!

والبطوطيُّ، حين يخاطبنا من أمريكا والشّواطئ الأخرى، لا نَستشعِرُ من نَبرتِهِ نُبوًّا ولا هُجنةً ولا استِعلَاءً أو شعورًا بالغُبنِ، ولكنّنا نَسمَعُ صَوتًا هادئًا مُتواضعًا بَسيطًا محلّقًا كأنّهُ يُخاطبُنا منْ مدينتِه، ومدينتي، طنطا بمحافظة الغربيّةِ التي وُلد بها في الثّالث من نوفمبر سنة ١٩٤٠م،ثمّ حصل على ليسانس الآداب في قسم اللغة الإنجليزيّة بكليّة الآداب جامعة القاهرة، ثمّ عمل مُلحقًا ثقافيًا بمدريد مِن سَنَة ١٩٦٩م إلى سنَة ١٩٧٤م، ثمّ مترجمًا ومحرّرًا بالأمانةِ العامّة للأُمم المتّحدةِ من سَنَة ١٩٧٨م حتّى تَقاعدَ سَنةَ ٢٠٠١م، وظلّ مقيمًا بنيويوركَ حتّى الآن.

يُذكّرنا موقفُ البطُّوطيّ بما حدَثَ لمَواطنه ومُواطني العلّامَةِ محمّد عيّاد الطّنطاويّ (١٨١٠-١٨٦١م) الذي أهملَتْهُ أقلامُ بني وَطنه لأنّهُ، كما يذهبُ رجاء النّقّاش، ظلّ في غُربتهِ في روسيا، ولم يشتبكْ مع قضايا وطنِه، ولم ينشُرْ إبدَاعاتهِ وترجماتهِ في الصُّحُفِ والمجلّات المصريّة والعربيّة...!

ولكنّ البطُّوطيّ ظلّ ينشرُ طوالَ هذه الفترةِ في المجلّات والجرائدِ المصريّةِ والعربيّة منذُ ١٩٦١م حينَ كان ينشرُ في مجلّة الآداب البيروتيّة إلى أنْ نَشرَ في معظم أوعيةِ النّشرِ العربيّة، ونَشرَ كتبَهُ ورِوَاياتِهِ وترجماتهِ في مكتباتِ الآدابِ، والهيئة العامّة للكتاب، ودار العينِ، ودار الهلالِ، والمشروعِ القوميّ للتّرجمة، ودار ميريت، ودار شرقيّات، وغيرِها بمصرَ، كما نشرَ في المؤسّسةِ العربيّةِ للدراساتِ والنّشرِ، ودار الآدابِ ببيروتَ، وسلسلة روائع المسرح العالميّ في الكويتِ وغيرِها...!

والسُّؤال الحائر: لِمَ لا نكرمُ أحياءَنا، وطُيورَنا المهاجرة، بل شُموسَنا المشعّةَ، ونَسعَى إلى ابتكارِ جوائزَ للتّرجمةِ تحملُ أسماءَ هؤلاءِ النُّبلاءِ العباقرةِ في مؤسساتنا وجامعاتنا؟!

ولِمَ لا نرَى في سجلِ رسائلِ جامعاتنا العربيّة أُطروحاتٍ عن ماهر البطُّوطي النّبيل السّامي مُترجمًا وناقدًا وساردًا ؟!

وكيفَ لا نَجدُ بحثًا معمّقًا حولَ اتّجاهه في التّرجمة، ولا جهُودِهِ الكبيرةِ في دراسةِ" ألف ليلة وليلة" بدلًا منْ أنْ يَسرقَ الآخرونَ جهُودَهُ في صَفاقةٍ وعُنجهيّة وصَلَف؟!

ولِمَ لا نرَى أبحاثًا علميّةً رصينَةً تتناولُ الصُّورولوجيا وتنافُذَ الثّقافاتِ في سَردِه، ولا سيّما أنّه عالجَ قضيّةَ الأنا والآخرِ من منظُورٍ مُختلف، فَرضتْهُ سياقاتٌ مختلفةٌ عن التي أشبعناها درسًا لدى توفيقِ الحكيم، ويحيى حقّي، والطّيّب صالح، وسُهيل إدريس، وغيرِهم؟!

إنّ أُمّةً تَعرفُ مَواقعَ نُجومِها لا تَضلُّ أبدًا:

بَقِيَ أنْ أقُولَ للّذينَ لا يَعملُونَ ولا يَسُرُّهم أَنْ يَعملَ الآخرونَ: إنّني ،والله، لم ألتقِ هذا النّبيلَ السّاميَ، ولم أحدّثْهُ مشافهةً، وإنمّا وقفتُ بكلّ إجلَالٍ واحترامٍ مُقدّرًا جهودهُ العلميّة، وأَعمالَهُ الإبداعيّةَ التي تُعادلُ جُهُودَ مؤسّسَاتٍ علميّة كاملة؛ فكتابُهُ: "الجيل الرّائع: وقائع حَياةٍ بين الكُتُبِ والفَنّ" على سبيلِ المثالِ يَسعَى فيه جاهدًا إلى صناعَةِ ثقافةٍ عربيّة قويّة مائزة، تَفهمُ الآخَرَ، وتنافسُهُ، كما أَنّ جُهدَهُ في قاموسِ الأدَبِ الأمريكيِّ جُهدٌ يُكافئُ عَمَلَ مُؤسّساتٍ عَريقة؛ وهو ما نجدُ نَظيرَهُ في كتابه: "الرّوايةُ الأُمّ"، وفي كتبهِ الأخرى؛ على سبيلِ المثالِ : "رواةٌ وروائيُّونَ"، و"بينَ الفنّ والأدَب"، وأفلامٌ أَهملتْهَا الأقلَامُ"، و"سيمفونيّةٌ ثقافيّةٌ"، وكلُّها مطبوعةٌ في مِصْرِ، وبعضُها متاحٌ في مؤسّسةِ هِنداويّ على الشّبكةِ العنكبوتيّة، فضلًا عن سُرودِهِ وترجماتهِ في أرشيفِ المجلّاتِ المصريّةِ والعربيّة، وهي متاحةٌ إلكترونيًّا.

ومن ثمّ؛ فلا يسعني إلا أنْ أقفَ إجلالًا واحترامًا لهذا النّبيلِ السّامِي شاكرًا ومُقدّرًا جُهُودَهُ داعيًا الله، تعالى، أن يمدّ في عمرِهِ، ويرَى ثمارَ غرسهِ في أبناءِ وطنه..!

بقلم: د. محمد سيد علي عبدالعال
(د. محمد عمر)
* أستاذ الأدب والنقد ووكيل كلية الآداب للدّراسات العليا بآداب العريش.

العلّامة سعيد أبو الفتوح.. على مثله تبكى البواكى !

بقلم: صبري الموجي
* مدير تحرير الأهرام

دلّتْ رنّاتُ هاتفى الأرضى الطويلة والمُتّصلة على أنّ المكالمة دولية، أو من إحدى المحافظات، وليست محلية.

رفعتُ السماعة مستفسرا: مَنْ معي؟ فأجاب بصوت حان: سعيد أبو الفتوح.

جالَ بخاطرى كلُّ سعيد أعرفه إلا شخص المُتّصل، ولكنْ كذبَ حدسي، وكانَ المتّصلُ هو سعيد، الذى لم أكن أتوقعه، والذى انقطعت صلتى به قرابة سنتين كاملتين، بعد تغيبى عن محاضرات السنة التمهيدية بكلية البنات بعين شمس لظروف العمل.

درّس لنا العلامة سعيد أبو الفتوح بسيونى - رحمه الله - مادتى أصول الفقه، ومناهج البحث، فكان فيهما حُجّة ضليعا، وكان إلى جانب ذلك نموذجا يُدرّس فى التواضع وحسن الخلق، اللذين صاحبتهما أناقة فى الملبس، زادته وقارا إلى وقاره.

لم تكن مادةُ أصول الفقه علما يُستهانُ به، بل كانت علما خشنا، لابد أن يكون معلّمُه فاهما لأصوله، واعيا لتفريعاته، عارفا بدقائق اللغة وأسرارها؛ التى هى وسيلة توصيل ذلك العلم ونقله للمتلقي، وهكذا كان العلامةُ سعيد أبو الفتوح - طيب الله ثراه - .

فى السنة التمهيدية، كثيرا ما كنّا نجد صعوبة فى فهم المصطلحات، وغموضا يُنفّرنا من الصمود أمام مصادر ذلك العلم ومراجعه، وبمجرد رجوعنا لأستاذنا الدكتور سعيد، يصيرُ الصعبُ سهلا، والغامضُ مفهوما؛ بفضل ما وهبه الله به من قدرة على توصيل المعلومة من أقصر طريق، دون غموض أو تقعر.

فى قاعة الدرس كنتَ تخالُ العلامة سعيد أبو الفتوح بسيونى رجلا من زمن الأولين؛ بما امتاز به من حضور ذهن، واتساع مدارك، وموسوعية علم، وحسن استنباط، وتوافر أدلة، تُثبتُ أنّه عالمٌ ثبتٌ، راسخُ القدم، واثق الخطوة، لا يتكلم إلا بالدليل، ولا يستمعُ إلا لصوت العقل، مادام لا يوجدُ نصٌّ صريح.

كان العلامةُ سعيد أبو الفتوح بسيوني، يُجيد الإنصات، ويُحسنُ الحديث، وكثيرا ما كنّا نظنُّ إنصاته. أثناء استفسار أحد الطلبة عن شيء غامض . شرودَ ذهن، فإذا بنا نفاجأ بأنّ صمته كان تركيزا، وسبرا لغور المتكلّم؛ لتأتى ردُودُه على السائل، وقد حوت الدواء الناجع، والإجابة الشافية.

كانت محاضرة العلامة سعيد بسيونى ورشة تدريب، نتعلمُ فيها أصول الفقه ومبادئه، ونتربى فيها كذلك على أدب الحوار، الذى كان أستاذنا فيه نموذجا وآية.

لم يُغلّب بسيونى يوما الصوت الزاعق، بل كان يحُضُّنا على الهدوء، وسوق الحجج، وتغليب العقل والمنطق؛ استنادا إلى مرجعيته الأصولية.

لم تختلف كُتب العلامة سعيد بسيونى عن شخصه، فقد امتازت بوضوح الفكرة، ومتانة اللغة، ودقة الألفاظ، وكلّها مقوماتٌ، كتبت لها الرواج والقبول لدى القارئ .

عُرف أ. د سعيد أبو الفتوح بالنظام، واحترام المواعيد، والحرص على المحاضرة، مهما كانت الصوارف والشواغل، فما تخلّف يوما عن محاضرة، أو قصّر مرة فى شرح درس.

وحيث إنّ النجاح لا يتجزأ، وتتسع مظلته، وتتعدد جوانبه، فقد كان العلامة سعيد أبو الفتوح ناجحا فى كلّ عمل أسند إليه، فبجانب كونه عالما، يصغر أمامه كثيرٌ من العلماء، فقد كان إداريا من طراز فريد، جمع بين الشدة واللين أثناء رئاسته قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة عين شمس، فكان لينُه - رحمه الله - تشجيعا لتربية الكوادر الشابة على المشاركة بالرأي، أمّا شدّتُه، فكانت ضرورة لمنع اللغط والصخب.

شارك - غفر الله له - فى العديد من المؤتمرات التى تُناقش قضايا الشريعة، وتطوير الدراسات الإسلامية، وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية، ونشر الكثيرَ من البحوث والدراسات فى مجال الشريعة.

حرص الطلابُ والدارسون على اقتناء كتبه النافعة والرائدة، فلا تخلو مكتبةُ متخصص من كتاب أو أكثر من كُتب العلامة سعيد بسيوني، التى من أهمها: أحكامُ الميراث والوصية والوقف فى الفقه الإسلامي، والحرية الاقتصادية فى الإسلام وأثرها فى التنمية، بالإضافة إلى عديد من البحوث فى أصول الفقه العام وعلوم الشريعة، التى صيغت صياغة رصينة، تُثبت أنّ سعيد بسيونى عالمٌ من زمن الأولين .

تحول ظروف الحياة وأعباؤها، بينى وبين لقاء العلامة سعيد أبو الفتوح على فترات متقاربة، وتُغنى مهاتفتُه عن لقائه إلى حد ما؛ فما لا يُدرك كله، لا يترك جله، وفوجئت أثناء الاتصال به بخبر وفاته بعد رحلة طويلة من العطاء والإخلاص للعلم فى مصر وإمارة دبى بالإمارات العربية المتحدة، فزلزل الخبرُ كياني، وانسكبت له دموعُ عيني، فحقا على مثل العلامة سعيد أبو الفتوح بسيوني، أستاذ ورئيس قسم الشريعة السابق بكلية الحقوق . جامعة عين شمس، تبكى البواكي.

المشهد
العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447 هـ

قالت العرب

أَساءَ فَزادَتهُ الإِساءَةُ حُظوَةً حَبيبٌ عَلى ماكانَ مِنهُ حَبيبُ
يَعُدُ عَلَيَّ العاذِلونَ ذُنوبَهُ وَمِن أَينَ لِلوَجهِ المَليحِ ذُنوبُ
فَيا أَيُّها الجاني وَنَسأَلُهُ الرِضا وَيا أَيُّها الجاني وَنَحنُ نَتوبُ

عمار علي حسن لـ «المشهد»:

قلمي حر مستقل يكتب للصالح العام والسلطة تعلم ذلك

اختلاف الإدراك والتقييم لكتاباتى ربما يكون سبب استدعائي

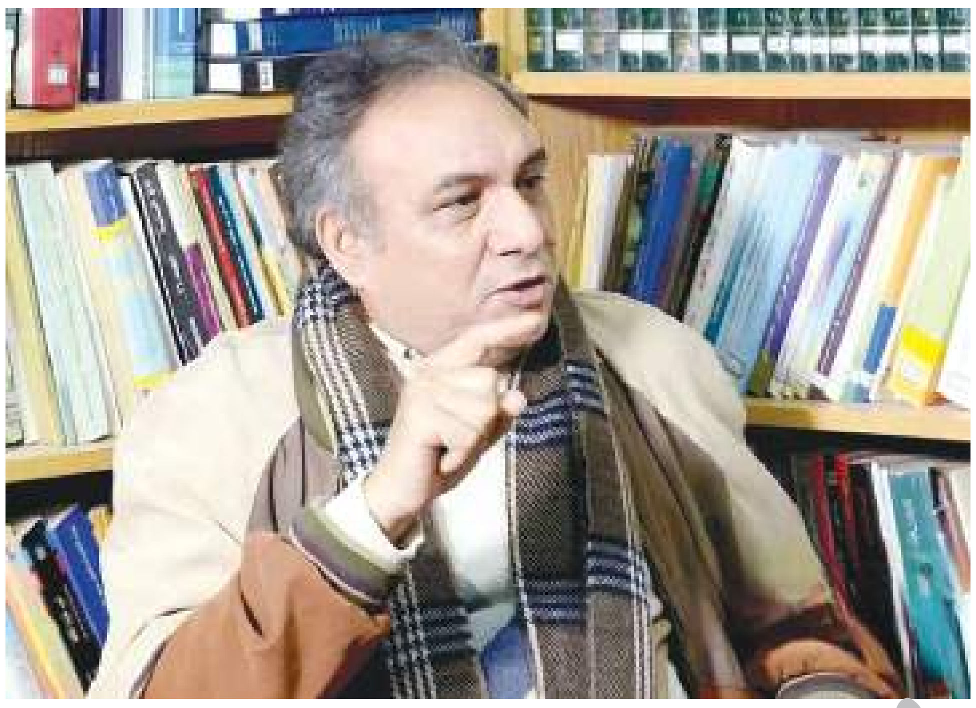

عمار على حسن أديب ومفكر مصري، تخرج فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة، ويحمل الدكتوراه فى العلوم السياسية. له أكثر من ستين كتابًا، نصفها فى الاجتماع السياسي، وله ثلاثون كتابًا أدبيًا عبارة عن روايات ومجموعات قصصية ودواوين شعر ومسرحية ودراسات فى النقد الأدبى والثقافي. أُعدت عن أعماله عشرون أطروحة جامعية، وتُرجم بعضها إلى لغات عدة، وحازت جوائز مرموقة.

لذلك قابل المصريون بدهشة نبأ استدعائه من نيابة أمن الدولة العليا بغرض "استجوابه" فى تحقيقات جارية بقضية تحمل رقم ١٠٢٠٤ لسنة ٢٠٢٥، غدا الاثنين ١٥ ديسمبر ، وبحسب ما أعلن الكاتب الكبير والباحث فى علم الاجتماع السياسى جاء محضر إلى بيته وسلمه ورقة "ممهورة بإمضاء السيد المحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا، لكن ليس موضحًا فيها سبب الاستدعاء، ولا مضمون القضية، وما إذا كان الاستجواب هذا تحقيقًا أم شهادة".

المشهد أجرت حوار مع الدكتور عمار لمعرفة خلفيات هذا الاستدعاء

• هل هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها استدعاؤكم بهذا الشكل؟

– ليست الأولى، فقد أستدعيت من قبل للمثول أمام النيابة العامة فى مارس ٢٠١٠ على خلفية مقال لى بصحيفة "المصرى اليوم" عن "صفقة بين الحزب الوطنى والوفد"، أثارت صخبا شديدا، وخرج صفوت الشريف رئيس مجلس الشورى وقتها والرجل النافذ فى نظام مبارك بالرد علي، دون ذكر اسمي، وقال "الحزب الوطنى لا يبرم صفقات إلا مع المواطنين"، كما عقد د. على الدين هلال مؤتمرا صحفيا للرد، لكن الحزب الوطنى لم يرفع دعوى ضدي، إنما رفعها د. محمود أباظة رئيس حزب الوفد، طالبا يومها تعويضا قدره عشرين مليون جنيه، وهى تساوى ٢٥٠ مليون الآن، بتقويم سعر الجنيه مقابل الدولار. وتصادف أن مصر لم تكن بها أحداث سياسية لافتة، وكان الإعلام حرا إلى حد معقول، فظلت المسألة محل تداول على مدار أسبوعين على الأقل. عقدت مناظرات فى برامج "التوك شو" ، وأعدت تقارير وتحليلات فى الصحف المصرية والعربية، وامتد الأمر إلى مختلف القنوات الإخبارية العربية. وكتبت مقالات، وقادت صحيفة "الوفد" حملة ضدى كانت عنيفة، وقمت بالرد فى مقالات مضادة.

لم يتم يومها الاستدعاء بالطريقة التى أنا بصددها الآن، إنما هاتفنى وكيل النائب العام لمحكمة شرق القاهرة، وقال لى بطريقة غاية فى التهذيب: ما اليوم الذى يناسبك للحضور؟ فقلت له: حدد الموعد الذى تراه وأنا سآتى إليك. وذهبت مع عدد كبير من المحامين المتطوعين. وطلب المحامون من النيابة الإطلاع على أقوال الخصم فوافقت، وأمهلت التحقيق أسبوعا للإطلاع. مثلت أمام وكيل النيابة، وكان رجلا مقتدرا فى القانون والأخلاق، واستمر التحقيق زهاء الست ساعات، وانتهى بإخلاء سبيلى بضمان بطاقتى الصحفية، وحفظت القضية بعد ثمانية شهور تقريبا، ولفت انتباهى أن حيثيات الحفظ أخذت نصا من أقوالي.

• هل توجد قضية مفتوحة تحمل هذا الرقم تم على أساسها التحقيق مع آخرين، وفقًا لما ذكره المحامون لكم؟

– استدعاء نيابة أمن الدولة العليا يشير إلى قضية تحمل رقم ١٠٢٠٤ لسنة ٢٠٢٥ لكن مذكرة الاستدعاء أو "الإعلان القانوني" لم تذكر أى شيء عن موضوعها، ولم تحدد أطرافها.

• هل سبق أن تواصلت معكم أى جهة بسبب مقالات أو منشورات بعينها؟

– حدث مرة واحدة فى مقال تخيلى عن توريث الحكم أيام مبارك، وعرف المتصل نفسه لى بأنه ضابط فى الأمن القومي، استفسر عما إذا كان المقال الذى دار فيه حوار بينى وبين قيادة كبرى فى الحزب الوطني، تجاورنا مصادفة فى رحلة بالقطار إلى الإسكندرية، قد حدث بالفعل أم هو ابن الخيال، فقلت له: المقال تخيلي، لكن يمكنك أن تعتبره واقعيا. ابتسم، وشكرني، وانتهت المكالمة.

على مدار ربع قرن من مقالاتي، ورغم ما تنطوى عليه من نقد، يعلم الله أنه يروم الصالح العام، لم يتصل بى أحد، ليطلب منى استفسارا، أو يطلب حذف تغريدة على إكس أو مكتوب على فيسبوك أو يعرب عن امتعاضه من مقال أو لقاء متلفز، باستثناء مرة واحدة، عام ٢٠١٩، استدعانى الأمن الوطنى ليسألنى عمن قصدت بتغريدة كانت تنال من شخص مُمَكّن فى السلطة، وقلت لهم من أقصد دون مواربة، وانتهى الأمر بسلام.

• ما هو تقدير المحامين الذين استشرتموهم للموقف؟

– يرون أن الأمر يتعلق بما أكتب على وسائل التواصل الاجتماعي، ويقدرون أنه يتماشى مع المصلحة الوطنية، ويراعى القانون والدستور، وهى آراء أو وجهات نظر معارضة نعم، لكنها لا تنطوى على تحريض أو تجريح فى أى شخص.

• ما هو تقديركم الشخصى للسبب الحقيقى وراء هذا الاستدعاء؟

لا أعرف على وجه الدقة، لكننى أعزو هذا إلى اختلاف الإدراك والتقييم، فربما تكون هناك كتابات أعتبرها لم تخرج عن القانون قط، وتندرج تحت السقف الذى حدده الدستور لحرية التعبير، لكن ربما هناك من يرى الأمر فيه شيء غير مناسب، حسب تقديره للظروف التى تمر بها البلاد، والتى أراعيها فى كتاباتي، أو أبذل كل جهد مستطاع فى سبيل ذلك، وكلنا يرى المصلحة الوطنية بطريقته، والتعدد سنة حياتية واجتماعية، والسياسة هى فن إدارة الاختلاف، والتنوع ثراء.

• هل كانت هناك، خلال الأسبوعين الماضيين، مداخلات مع قنوات تلفزيونية أو كتابات فى صحف خارج مصر ناقشت قضايا شائكة قد تكون أثارت حساسية لدى السلطات؟

– فى هذه المدة سجلت فيديو دار حول كتابى "أبواب الأذى .. دفتر أوجاع أهل مصر" لمنصة "تفاصيل مصرية" التى يملكها الإعلامى معوض جودة، والكتاب صدر هذا العام عن دارالشروق بالقاهرة، وفيديو آخر دار حول الأحوال الثقافية سجلته مع الإعلامية معتزة مهابة، لحساب منصة "إيجيبتك"، ولقائى مع "بي. بي. سي" فى برنامج "بتوقيت مصر" الذى تقدمه الإعلامية نسمة السعيد، والحلقات الأربع التى بثتها النيل للأخبار وأدارتها المذيعة أمل رشدى عن سيرتى الذاتية التى صدرت فى كتاب "مكان وسط الزحام .. تجربة ذاتية فى عبور الصعاب" عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة، ولقاء ثقافى مع موقع "بوك زوون" حول أعمالى الأدبية، وليس فى كل هذا ما خرج عن سمتى وطريقتى السابقة التى يحميها الدستور والقانون.

• فى ضوء هذا الاستدعاء ما الذى يمكنك قوله فى النهاية؟

نحن نختلف فى مصر، ولا نختلف عليها. هذا ما ينبغى له أن يكون، وما أومن به. والسلطة السياسية بمختلف مؤسساتها وأجهزتها تعرف الحقيقة، أو يفترض هذا، ومن ثم تدرك وتفرق بين من يتحدث أو يكتب ابتغاء وجه الله والناس والوطن، ويخلص للحق والحقيقة، ومن ليس كذلك. ومن يتابعنى يعرف أننى أقدح من رأسي، وليس من رأس أحد، لأنى من المؤمنين بضرورة أن يكون الكاتب حرا ومستقلا، وأتمنى أن يدرك أهل القرار فى البلاد هذه المعادلة جيدا، وإن كانوا يدركونها فعليهم العمل بها.

نحن نختلف فى مصر، ولا نختلف عليها. وهذا حصاد لقاءاتى خلال أسبوعين

أنا من المؤمنين بضرورة أن يكون الكاتب حرا ومستقلا، وأتمنى أن يدرك أهل القرار فى البلاد هذه المعادلة جيدا

استدعيت من قبل للمثول أمام النيابة عام 2010 لكن الطريقة كانت مختلفة

مقال تخيلى عن توريث الحكم أيام مبارك جعل الأمن القومى يتصل لمعرفة ما إن كان لشخصية حقيقية

حوار: شيماء جمال

مرثية عن ليلة من صنع اللّه: كوني حياة

النهاية بانتحار الكاتب كأن الثورة قتلت نفسها لم اقتنع بها فحتى لو كانت الثورة قد فشلت فمن حقنا أن نحلم بعالم أفضل

ما مثل قطرة مطر عذبة صافية شفافة ومكثفة مكتملة منفصلة عن عالمها ممثلة له، تكشف كتابات فؤاد مرسي عن قلبها باقتصاد حاد جارح. لفتت أعماله انتباهي ربما منذ أعماله الأولى رحم الشوارع، تحولات البحر، شارع فؤاد الأول فقد أوجد لنفسه مكانا بين الكتاب بخصوصية النعومة التي تتسلل دون ضجيج حفر بأسلوبه المتفرد المخلص لمدينته وبيئته عالمه، وظل وفيا له سواء في القصة القصيرة أو الرواية أو في دراساته وكتبه عن التراث، فأعماله الأخرى عن معجم رمضان، القط في المعتقد الشعبي أو القصص القصيرة في السودان أو المعاجم عن أدباء الأقاليم والقليوبية بصفة خاصة، تكمل فسيفساء اللوحة التي يرسمها المثقف عن البشر المشغول بهم سواء في استقصاء حياتهم أو الكشف عن عمق تمسكهم بالحياة ورحلة مواجهتهم للتغيرات التي تحدث لهم وحولهم.

كل شيء هادئ في أعمال فؤاد مرسي هدوءا خادعا، فالحياة تمور تحت تكويناته البنائية البسيطة وشخصياته الشحيحة الظهور ولغته الشفافة التي لا تشغلك بصورها الخيالية لغة تجرح لك الواقع بعنفوانه ومرارته والانكسار بفعل الفخاخ المتكررة.

مرثية عن ليلة من صنع الله

بعد مرور ما يقرب من خمسة عشر عاما من ثورة يناير ٢٠١١ بدأت الكتابة تأخذ منحى جديدا، لبس الغضب ثوب العقل والتؤدة والتأمل، ومن المنتظر أن نقرأ عنها المزيد من الأعمال المتمهلة. كنت قد أصدرت في ٢٠١٧ روايتي "مدن السور" وقلت عنها أنها رواية الغضب، دستوبيا حملت طاقة انكسار حلم الثورة وسرقتها وجرنا لسرقة الهوية ذاتها ومكتسبات سنين من النضال نحو الحرية، في الوقت الذي ظهرت فيه أعمال متفرقة تنعيها أو تلقي الضوء على عنصر من عناصرها مثل "قطط العام الفائت" ورواية "حتى لا أنسى أنني كنت هنا" عن شهداء ومصابي الثورة لإبراهيم عبد المجيد و"باب الخروج" و "كل هذا الهراء" لعز الدين شكري فشير، و"أجندة سيد الأهل" لأحمد صبري أبو الفتوح، و"جمهورية كأن" لعلاء الأسواني. كما تناول عمار علي حسن سقوط الإخوان في روايته "سقوط الصمت"، ورواية "عطارد" لمحمد ربيع، و"ظل التفاحة" لمحمد إبراهيم قنديل، "قريبًا من البهجة" لأحمد سمير، ورواية "أحاديث الجن والسطل" لمحمد الجمال، و"بعد الحفلة" ليحيى الجمال ورواية "جمهورية القرد الأحمر" لياسر أحمد و"سيجارة سابعة" لدينا كمال. وغيرها من الروايات التي كتبت عن الثورة بطرائق متعددة.

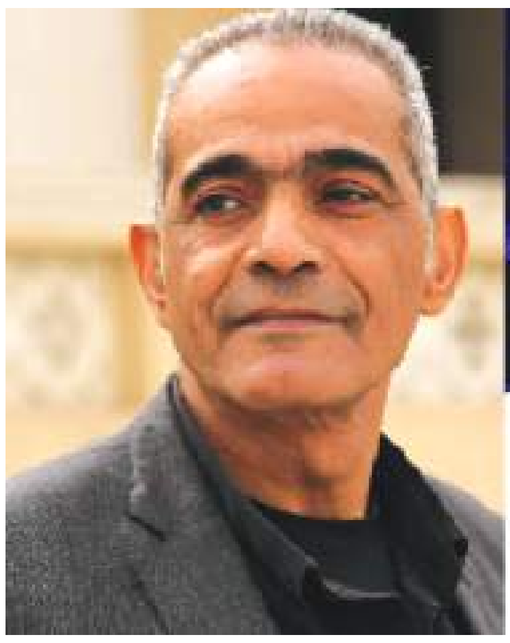

رواية ليلة صنع الله هي تقطير واف للبهجة التي صنعها حلم شعب بأكمله بالخلاص، واكتشف وهو يرنو إلى السماء أن صناعة هذه الليلة لا يمكن أن تكون بشرية هي صناعة الله الخالق وهبته لهم ولروحهم القديمة، التي تسعى للملمة شتاتها الذي تركته على محطات كثيرة متباعدة، قبل أن تقرر اعتزال العالم روحا، بدت أكثر توهجا وارتجافا وهي تتجه إلى الهناك.

في الطريق إلى هذا الجمع الذي يتوهج يقابل البطل في السيارة خضوع الراكبين لأوامر السائق، ويكتشف أنه يغرد وحده فيواصل سكوته واستمراره على الطريق. وتأمله لما كان عليه المكان من قبل من اخضرار حتى حافة الأفق، انقلب إلى علب اسمنتية فيبدأ في رصد عناصر مرثيته يافطات تعلن عن ملايين التجارة وزحف رأس المال الذي يتحدى عيون الراكبين والراجلين، الذكريات في مواجهة قبح الواقع، لحظة الصدق التي تكشف المجد القديم المطمور في المخطط الأولى لرواية الشاب الجالس بجواره في السيارة. يعود فؤاد مرسي هنا لموضوعه الأثير، بنها التي يحبها بما كانت عليه ويقارنها بما أصبحت عليه، يعود ليجعل المكان يحتل القلب من العالم يبحث فيه الشاب عن الكنز. لكن الكنز قد يكون مجرد زئبق أحمر أو قطع أثرية نادرة لا يلتفتون للكنز الحقيقي الذي بين أياديهم ويندفعون لهدم البيوت الدافئة العامرة بالحياة من أجل كنز زائف، الحفر تحت البيوت يتم ليلا، جدران تتساقط على أصحابها ومشاجرات بين جيران تنتهي بقتيل وقاتل. يعود الراوي ليظهر مخاطر الطريق حين يتركون القرى العامرة إلى الصحراء، مخاطر جاءت مع الحلم مع السائرين من كل البقاع إليه، مخاطر حدثت ومخاطر محتملة يلوح بها السائق ويجبر الركاب على دفع أجرة إضافية ويتخذ من مدق طريقا جانبيا يأخذهم إليه، ويستسلم البطل لكن الراوي يخلق له استراحة من حلم جميل؛ قرية من زمن آخر قرية من ماضي البطل ومن حنينة، قرية مستسلمة للطبيعة دون غيرها مستغنية عن تفاصيل العالم الحالي بكل مفرداته، لكنها قرية غامضة اختفت نساؤها وحين ظهرت واحدة كانت مغلفة الوجه ببرقع. يغيب السائق ويعود ليذكر المخاطر ويتسرب الركاب خالقين لأنفسهم فرص النجاة المنفردة، حتى عادت السيارة بعد أيام إلى الطريق الصحيح لتنقل الينا عالما مزدحما بالكلام، بائع الصحف يصف له الميدان، الكعبة التي يدورون حولها ويتبركون بها وسط الحلم الكبير الذي اعلن المذياع عن اشراقه. وسط مناخ من الإثارة والتشويق الناعم يخبئ الراوي حلمه الغامض المتقد الجاذب، مثل مغناطيس شديد لكل الناس، حلم يتم تناقل وهجه فوق الطرق.

بين لقطات الثورة الحلم والسيارة التي يقودها سائق يتحكم في العباد، تتكشف مشاهد الفرح والحمد لله، وأغنيات الحلقات الجماعية والإنشاد وتطوح الأجساد المنتشية بها والتحام الشباب بالشيوخ في لحظة فاصلة دفعتهما معا لمحاولة الوصول إلى الميدان لقاعدة التمثال الفارغة، لكن العربة تنقلب وينجو الشيخ الراوي ويظل على صلة بحلمه موصولا بزيارات الشاب ورؤيته لما يجري في أرض كعبة الملايين، عن الأيام التي تحول الناس فيها إلى ملائكة، ودعوة الشباب للأهالي بالنزول والالتحاق بهم وتنظيف البالوعات لتستوعب الماء الراكد وتنظف المكان، الالتحام بالناس ومشاهد تناول الطعام الذي يمنحه المارة لهم واختبار حقيقة اللحظة وإدراك النور الذي أصاب الجميع معا.

يقول الراوي للحياة كوني حياة. حياة حقيقية أو موتا أو أي شيء سوى ما أنت عليه الآن. فتكون لحظة الصدق في الميدان فارقة ويكتمل الحلم. ولأنه حلم يفاجئنا الكاتب بتحول في بنية النص على صعيدين على أرض الواقع، الأول هو خطابات صنع الله لحبيبها: المرأة الحالمة على أرض الواقع حبيبة ترضى بوجوده مجرد صوت في التليفون، تظهر المراة في ومضات غير متحققة مثل راعية الغنم، الشهاب الذي أضاء ثم أختفى. تيمة تكررت في أعماله القصصية وفي ثلاثيته الروائية.

الثاني هو مخطوط الرواية وبطلها عبد المجيد رسلان الذي يأخذنا إلى متغير آخر يفسر لنا ما جاء في الأحداث السابقة ويتشابك معها، وتأتي النهاية بانتحار الكاتب كأن الثورة قتلت نفسها بنفسها، نهاية لم اقتنع بها وبقى هذا التحول غير مريح بالنسبة لي، حتى لو كانت الثورة قد فشلت وسرقت وندفع الآن ثمن قيامنا بها، فمن حقنا في الفن والكتابة أن نحلم بعالم أفضل وأكثر إنسانية.

بقلم: هالة البدري

"لأننا نقول ذلك" حين يتصادم منطق السلطة مع الحقيقة والعدل

يقدم الفيلسوف اللغوي، والمفكر السياسي العالمي الأمريكي الجنسية، نعوم تشومسكي (١٩٢٨-)، في كتابه "لأننا نقول ذلك"، الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ أحمد الزبيدي وصدر عن دار المدى، تشريحًا جذريًا لعقل السلطة المعاصرة، السلطة التي يشير إليها تشومسكي في هذه الكتاب لا تنصرف فقط إلى السلطة الأمريكية التي يدرسها ويشرحها، وإنما تنصرف إلى السلطة كما تمارس في أي موقع أو مكان يسود فيه منطق الحكم على منطق الحق، حق المواطن بوصفه صاحب السيادة الأصلي، الذي تصادره السلطة حتى لو كانت سلطة منتخبة مفوضة من غالبية الناخبين، فالخطر الحقيقي الذي يوضحه تشومسكي لا يكمن فقط في القرارات الجائرة، وإنما في تطبيع هذه القرارات أخلاقيًا وإعلاميًا، الأمر الذي يجعل هذا الكتاب "وثيقة اتهام" ضد "منظومة عالمية تُدار بمنطق القوة لا العدالة، وما تراه السلطة، وليس باسم القانون أو الأخلاق.

ثقافة السؤال والتفكير النقدي

كشأن أي عمل نقدي، يدعو الكتاب القارئ إلى طرح أسئلة حول من يملك العالم؟ ومن يحدد من هو "الضحية" ومن هو "الإرهابي"؟ ولماذا تُمحى بعض الجرائم من الذاكرة الجماعية بينما تُضخّم جرائم أخرى؟ كما يدعو القارئ إلى التشكك في منطق وآليات السلطة المعاصرة التي جعلت مفاهيم مثل "الشرعية" و"الديمقراطية" و"الأمن"، ستارا يحجب حقيقة "القوة، والهيمنة، وتزييف الوعي العام"، التي تقوم عليها السلطة القائمة فعليًا، فالقرارات تُتخذ لأن الأقوياء يقررون ذلك، ويملكون وسائل فرضها، إعلاميًا وسياسيًا، وليس لكونها عادلة أو قانونية أو أخلاقية. وفي هذا السياق تحوّل الإعلام من كونه سلطة رقابية إلى أداة لتبرير السياسات، وتُفرغ الديمقراطية من مضمونها.

الهجوم على التعليم العام وعقيدة الصدمة

لكن النقطة الأهم في كتاب تشومسكي هو ما يراه من هجوم على التعليم العام، وهي النقطة التي تطرحها الصحفية والناشطة الكندية نعومي كلاين في كتابها "عقيدة الصدمة"، ويحدد تشومسكي الهدف من هذا الهجوم فيما يلي: إنتاج مواطنين مطيعين لا ناقدين؛ تحويل المعرفة إلى سلعة؛ وتفريغ الجامعة من بعدها الأخلاقي والسياسي. ويرى تشومسكي الذي تحتل قضية فلسطين وقضايا الشرق الأوسط بشكل عام حيزا كبيرًا من تفكيره واهتمامه، أن قضية فلسطين ومشكلة غزة تقدمان نموذجًا كاشفًا لطبيعة السلطة المهيمنة التي تتعامل مع القضايا المختلفة ومع العالم بمعايير أخلاقية مزدوجة، لإخفاء حقيقة التهديد الوجود الذي يتعرض له العالم بسبب ممارسات السلطة التي يرى تشومسكي أنها تُعبر عن الرأسمالية في توحشها، والتي باتت تشكل تهديدًا وجوديًا للعالم، بما تنطوي عليه من تكريس للتفاوت الطبقي وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء على الصعد الوطنية، وعلى الصعيد العالمي، وبما تشكله من تهديد للبيئة وعسكرة السياسة.

عقيدة الأمن القومي

ربما يلخص مفهوم "الأمن القومي" الذي يُستخدم لتبرير المراقبة "الشاملة" و"السائلة"، للناس وانتهاك حقوقهم، بما في ذلك انتهاك حرمة الحياة الخاصة للمواطنين عبر تشريعات تصدر بزعم حماية "الأمن القومي" والي تختص السلطة حصرًا بتعريفه، وهو ما تعكسه الفلسفة الحاكمة للتشريعات الوطنية، وتهميش القانون الدولي أو الالتفاف عليه والتلاعب به، بما يخدم مصالح النخب الحاكمة. وكشف إدوارد سنودن، تقني المعلومات الذي انشق على جهاز المخابرات المركزية الأمريكية لأسباب سردها الفيلم الذي تناول قصة انشقاقه، والذي كشف "هشاشة الحرية" وفضح أكذوبة خطاب "الدولة الديمقراطية الشفافة".

المقاومة المدنية الواعية أو الانحدار والفناء

الرسالة التي يختتم بها تشومسكي كتابه تقول إما أن يمتلك الأفراد والمواطنين في شتى أرجاء العالم وعيًا نقديًا ويطورون آليات للمقاومة المدنية العالمية، أو أن يستمر الانحدار نحو كوارث لا رجعة فيها، ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب، إلى جانب كتب تشومسكي الأخرى، وغيره من الكتابات النقدية، في الدعوة الصريحة إلى تفكيك الخطاب الرسمي؛ ورفض الطاعة الفكرية، واستعادة معنى الصالح العام، وإدراك أن الديمقراطية تُقاس بقدرة الناس على المعرفة والمساءلة، وهما جوهر الديمقراطية وقلبها النابض، أما اختزال الديمقراطية في الانتخابات فقط وتعطيل آلياتها الأخرى، لا يفعل شيئًا سوى تكريس الاستبداد، الذي يشكل الانفراد بالسلطة، والتلاعب بها لعزل المواطنين وتهميشهم جوهرها.

بقلم: أشرف راضي

المشهد
العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447 هـ

قالت العرب

يا طولَ شَوقيَ إن قالوا الرَحيلُ غَداً لا فَرَّقَ اللَهُ فيما بَينَنا أَبَدا
يا مَن أُصافيهِ في قُربٍ وَفي بُعُدٍ وَمَن أُخالِصُهُ إِن غابَ أَو شَهِدا
لا يُبعِدِ اللَهُ شَخصاً لا أَرى أَنَساً وَلا تَطيبُ لِيَ الدُنيا إِذا بَعُدا

أبو فراس الحمداني (٩٣٢م – ٩٦٨م)

نقيب التشكيليين وشاليمار شربتلي يفتتحان معرض الفنان عبدالحليم رضوي بضي الزمالك

افتتح نقيب التشكيليين الفنان طارق الكومي، والفنانة السعودية شاليمار شربتلي، والناقد التشكيلي هشام قنديل، مساء أمس الأحد، بجاليري ضي الزمالك، معرض أعمال رائد الفن التشكيلي السعودي الراحل الدكتور عبدالحليم رضوي، وقاعة عرض لوحات ٣٠ فنانا من كبار التشكيليين السعوديين.

حضر الافتتاح الفنانون فؤاد الغرابلي و سامى البلشي و وليد عبيد و عاطف سليمان و عاطف أحمد وعدد كبير من الفنانين المصريين والسعوديين.

يستمر المعرض حتى ٢٨ ديسمبر الجاري، ويصاحبه عرض أعمال رواد وكبار التشكيليين المعاصرين في المملكة العربية السعودية، بقاعة خاصة.

يضم المعرض مجموعة مختارة من أعمال الفنانين السعوديين الرواد، بينهم بكر شيخون وأحمد فلمبان وعبدالرحمن السليمان وطه الصبان وعبدالله حماس وسمير الدهام وفهد الحجيلان وشاليمار شربتلي وعبدالله إدريس وأيمن يسري و علا حجازي ومحمد الرباط وفهد خليف ومحمد الغامدي وعبدالرحمن المغربي ورياض حمدون ومحمد الشهري وإحسان برهان ومحمد العبلان ومحمد الخبتي وسعيد العلاوي وأبو هريس ونهار مرزوق وخالد الأمير وأحمد الخزمري وعبدالله الزهراني وغيرهم.

عن تجربة رائد التشكيليين السعوديين عبدالحليم رضوي، يقول الفنان والناقد السعودي الكبير عبد الرحمن السليمان، إن "رضوي" من الرعيل الأول الذين رسموا صورة حقيقية لمعالم الفن التشكيلي، وأعطى بفنه الذي مزجه بروحه ولم يبخل يوما بأن يقدم ما لديه، ويستطيع المراقب لمسار الحركة التشكيلية في المملكة أن يتعرف على مدى تأثير مشواره الفني ومدى ما قدمه لها، حتى توفي في جدة بعد صراع مع المرض خلال الأعوام الأخيرة، وقد عرف عنه نشاطه وإصراره على أن يكون للفن التشكيلي دور في الثقافة العامة للمجتمع.

وتابع السليمان: عندما يتحدث "رضوي" عن الفن الحديث فإنه يؤكد معه على أن ينطلق من الأصالة واستلهام التراثين العربي والإسلامي، وقد أخذ منه ذلك اهتماما، وكرس لأعمال تحمل أو تتأثر بهذا التوجه.

ولد التشكيلي السعودي عبد الحليم رضوي عام ١٩٣٩ في مكة المكرمة، عاش بداية حياته عصاميا فكان لوالدته في ذلك الدور الكبير في تنشئته وتعليمه، وفي المدارس التي تعلم فيها كان محاطا بالتشجيع والاهتمام، وخصصت له مدرسته جناحا لرسوماته نفذها بالألوان المائية والبلاستيكية.كان العام ١٣٧٨هـ بداية انطلاق لحياة فنية تميزت بالمثابرة والجد والاجتهاد فقد كانت مشاركته في أول مسابقة جماعية على مستوى المدارس الثانوية وذلك في مدينة الرياض وكان قد فاز حينها بالمركز الأول وكان لهذا الفوز الأثر في أن يتوجه بعد إنهائه الدراسة الثانوية في مدرسة العزيزية بجدة لدراسة الفنون الجميلة، بعد أن كان يتمنى دراسة الطب، كانت وجهته للتعلم إيطاليا التي سافر إليها وحيدا عام ١٩٦١م، وعلى نفقته الخاصة ليدرس في أكاديمية الفنون الجميلة بروما الديكور وفنونه، وفيها أقام أول معارضه الشخصية في العام التالي من التحاقه بالدراسة، وقد تم ضمه إلى البعثة الرسمية فيما بعد.

في العام ١٩٦٤ أنهى "رضوي" دراسته الفنية وعاد إلى المملكة بكثير من الطموحات، فأقام معرضه الشخصي الأول فيها، إلا أنه فوجيء حينها برد فعل عكسي على مقدار ما كان يحمل من طموح، فقد وصفت أعماله بالهلوسة الفنية مع توجهه الأحدث في الفن وتأثره بدراسته ومشاهداته الفنية في إيطاليا.

كان المجتمع ينتظر من الفنان عبد الحليم رضوي حينها تمثيل الواقع ومحاكاته، وهو ما كان يقف رضوي ضده وكرس له الكثير من كتاباته وآرائه ومواقفه، عاد بعد العرض الأول ليكرر التجربة في موقع آخر في نفس المدينة لكن النتيجة لم تكن بأحسن من الأولى كثيرا، ومع ذلك تحرك بأعماله الفنية الجديدة إلى بعض المدن السعودية الأخرى كالرياض والظهران التي تلقى حينها دعوة من شركة أرامكو السعودية لرسم بعض المظاهر عن صناعة الزيت.

كانت عودة الفنان عبد الحليم رضوي من إيطاليا متزامنة مع اهتمامات جديدة بالفن، فقد تم افتتاح معهد التربية الفنية بالرياض، وقبله إقامة دورات تدريبية لصقل معلمي التربية الفنية، وكانت هذه الدورات صيفية، وكانت مدينة الطائف مركزا توجه إليه بعض المعلمين والمتعلمين من بينهم رضوي، ومن المتعلمين الفنان الراحل محمد السليم والفنان سعد العبيد وغيرهما.

في معهد التربية الفنية بالرياض درّس رضوي لفترة محدودة، ثم انتقل إلى جدة ليقوم بالتدريس في إحدى المدارس الثانوية، وتأسس مركز الفنون فيها لينتقل للإشراف عليه، وقد أنشأته حينها وزارة المعارف.

تعبر أعمال الفنان عبد الحليم رضوي عن إطلاع واستيعاب للتيارات والتوجهات الفنية العالمية، وهو عندما يدافع عن مفهومه الانطلاق المعاصر من خلال التراث العربي والإسلامي، يؤكد على هوية وشخصية تميز العمل الفني، ومن هنا كانت انتقالاته الفنية نحو هذا المفهوم واضحة في تجاربه المتلاحقة.

عقب عودته من دراسته الأولى كان تأثير بعض الاتجاهات الحديثة ظاهرة في أعماله فرسم بتأثير التوجه الانطباعي المتأخر خاصة مع سيزان الذي اعتبر أب الفن الحديث، وأنه من فتح الباب لاكتشاف التكعيبية، وتقترب في هذا السياق أعمال رضوي وقتها مع معالجات سيزان القائمة على اللمسة العريضة للفرشاة أو سكين الرسم، يظهر ذلك في أعمال مبكرة رسمها في النصف الأول من ستينيات القرن الماضي من عناوين تلك الأعمال (زهور، قرية برشانو في ايطاليا، القروية) وغيرها، وهي أعمال مثلت مرحلة مهمة ومؤثرة في تجربته الفنية واختلفت عن تجارب أخرى لاحقة نفذها حين وبعد عودته من إسبانيا، وقد درس فيها الفن وحصل منها على درجة بروفيسور عام١٩٧٩.

بدت أعمال الفنان الجديدة تبحث في معطيات الدائرة وبعد الحركة والديناميكية كانت آراء وتنظيرات رضوي الذي طبع مؤلفا يبدي فيه هذه التجربة، فكان يرسم علاقة بين التموجات الفكرية والشحنات الانفعالية - كما كان يقول - ضمنه كتابه (الحياة بين الفكر والخيال) ١٩٨١م الذي ضمنه لإيضاح ذلك - أيضا - رسومات وتخطيطات وآراء. فيقول في هذا السياق متحدثا عن أحد الأعمال (كل شيء في الحياة يدور ويدور ولكل إنسان أحلام وأمان يدور حولها).

أصدر رضوي فيما بعد بمشاركة كتاب قضايا معاصرة مع الدكتور أبوبكر باقادر وأكرم طاشكندي، ومساهمته كانت مقالات نشرها في بعض الصحف، وأثناء دراسته الفنية في إسبانيا التقى ببعض الفنانين العرب الذين كانوا يتعلمون معه، وكان يشغله حينها البحث عن الشخصية الفنية للنتاج الفني العربي، ورأى مع الفنانين أحمد نوار ومصطفى عبد المعطي وفاروق إبراهيم وعبد العزيز أحمد أنه لابد من أن يكون لنا أسلوب مميز مع استخدام المعايير الحديثة.

في أعماله التي مثلت مرحلة ثانية في تجربته الفنية وقد برزت الدائرة، انطلق رضوي من مفردة الحصان الذي ربما رأى فيه عنصرا يرمز للأصالة فنوع على حركته منطلقا من نقطة في الوسط ومنتهيا إلى أطراف العمل بحركة لولبية رأى فيها دينامية الحياة إلا أن عناصره التالية أخذت في التنوع وظهر في لوحته المنزل والأشخاص والحركة اليومية الشعبية، ومع التواصل في هذا التوجه أخذت الحركة تقل وتتوارى لصالح وضوح العناصر الجديدة التي أخذت تؤكد اتجاهه الفني الذي حافظ عليه إلى آخر أعماله المعروفة.

ومع اهتمامات رضوي في تكوين اللوحة الفنية الحديثة وباستلهام المعطى التراثي، لم يغفل المواضيع الإنسانية والقومية العربية والإسلامية، ولعل لوحاته عن فلسطين والقدس تمنحنا التعرف على مشاركته الفنية في هذه القضية، وهو مع حالة الرسم لا يتوانى في تضمين بعض أعماله في ظل هذا التوجه كتابات وحروفا تكثف الفكرة وتقربها، وكان من بين أعمال هذا الاهتمام لوحاته (أين الضمير؟ القدس تناديكم، البؤساء).

تقلد الفنان عبد الحليم رضوي منصب مدير فرع جمعية الثقافة والفنون بجدة، وحقق خلالها العديد من الأنشطة الفنية المتمثلة في المعارض الشخصية والجماعية، وقدم فكرة معرض مختارات من الفن التشكيلي السعودي المعاصر وتبنتها الجمعية، و رافق رضوي معظم المعارض المبكرة لهذا التحرك، وحصل عام ١٩٨٤ على وسام القائد من البرازيل وأنشأ متحفه بجدة وفيه عرض أعماله الفنية، كما أقام أكثر من ١٠٠ معرض شخصي طاف بها العديد من بلدان العالم كان أولها في روما وبيروت، كما عرض في إسبانيا ومصر وتونس وغيرها.

كرمته أكثر من جهة، وأعماله تقتنيها عدة جهات رسمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، فكان رائدا حقا للفن التشكيلي السعودي.

من لوحات المعرض وأقصى يمين الصورة الفنان عبدالحليم رضوي وهشام قنديل

من افتتاح المعرض

على عطا - هيباتيا موسى

حوار الألوان بين ضفتى النيل والجزيرة: سيمفونية التشكيل السعودى فى ضى الزمالك

فى قلب القاهرة، وعلى ضفاف الزمالك الساحرة، يسطع "ضي" جاليرى ليصبح مسرحا لحوار فنى عميق يترجم نبض الروح السعودية، مجسدا رحلة التشكيل من مرحلة الريادة إلى ذروة المعاصرة. إنها ليست مجرد لوحات، بل ميثاق بصرى يوثق علاقة الفنان بأرضه وتاريخه، ويمتد عبر الجغرافيا ليصافح تاريخ الفن العربى فى مهده القديم.

عبدالحليم رضوي.. الفيلسوف بالريشة

يتخذ الحدث بعدا ميتافيزيقيا خاصا، حيث يحتفى برائد الفن التشكيلى السعودى الراحل الدكتور عبدالحليم رضوي، فى قاعة مخصصة تنضح بأعماله المائية والزيتية. إن رضوى ليس فنانا فحسب، بل هو فيلسوف الجمال الذى أدرك أن الأصالة لا تكمن فى التقليد، بل فى استلهام الجذور ثم الانطلاق نحو أفق الحداثة برؤية متفردة.

تمثل أعماله شهادة على الزمن، حيث مزج الروحانية الإسلامية والتراث العربى بأساليب التعبير الحديث، مقدما نموذجا لكيفية أن يكون الفن جسرا بين الإرث والمستقبل.

خلاصة التجربة: فى كل ضربة فرشاة، نلمس إصراره على أن يكون للتشكيل دور فى الثقافة العامة للمجتمع، مانحا فنه من روحه دون بخل، ليترسخ بذلك تأثيره الذى لا يمحوه الغياب.

لا يقف المعرض عند استعادة سيرة الماضى المضيء، بل يتسع ليشمل كوكبة من رواد وكبار التشكيليين المعاصرين، فى حراك فنى يجسد فلسفة التطور والامتداد. فمن المشاركين بالقاعة الأخرى: عبدالله حماس، طه الصبان، ايمن يسرى، عبدالله ادريس، خالد الامير، فهد خليف، بكر شيخون، سمير الدهام، هاشم سلطان، شاليمار الشربتلى، محمد الغامدى، فيصل السمرة، فؤاد مغربل، علا حجازى، وآخرون

إن مشاركة هذا الطيف الواسع من المبدعين السعوديين فى عاصمة الفن العربية، القاهرة، هو تأكيد على وحدة الوجدان الفنى العربي، حيث تلتقى مدارس وتجارب متنوعة لتشكل فسيفساء إبداعية غنية.

هنا، ينظر المعاصرون إلى تجربة الرائد رضوى لا كنهاية، بل كنقطة انطلاق، مؤكدين أن الفن هو سيرورة لا تتوقف، وأن كل جيل يحمل شعلة الجمال ليضيف ضوءه الخاص إلى مسيرة الأمة الفنية. إنهم يقدمون بصماتهم التى تتضح بالهوية، تارة فى تجريد رمزى، وتارة فى واقعية ناقدة، لكن القاسم المشترك يظل هو البحث عن الجمال فى جوهر الذات والبيئة.

إن هذا الحدث فى جاليرى "ضي" بالزمالك يتجاوز كونه معرضا فنيا، ليصبح ملتقى ثقافيا ومعنويا. هو دليل على أن الرسالة الفنية لا تعترف بالحدود، وأن القاهرة، بمثابة الأم الثقافية للعرب، تفتح ذراعيها لرؤى الجزيرة العربية الفنية، فى إثراء متبادل يضيء المشهد التشكيلى العربى ككل.

بهذا التجمع البهى، ترسخ المملكة العربية السعودية حضورها الفنى على الساحة العربية والدولية، مقدمة عمقها التاريخى ومستقبلها الإبداعى فى آن واحد، فى رحلة بصرية تدعو إلى إدراك الجمال كقيمة عليا فى حركة الوجود.

بقلم: د. سامى البلشي

بطل الغروب.. رد الاعتبار للمهزوم النبيل

أحمد سراج أسس شخصية دياب بن غانم فى "بطل الغروب" كى يهدمها فنّيًا فى "الذئب التائه"

تشكّل السيرة الهلالية مصدرا للخيال الجمعى فى مصر والوطن العربي، فهى قصة الترحال والبحث عن الأرض الخصبة، وصراع الفروسية، وانكسار القبائل أمام أقدارها. وفى قلب هذه السيرة يبرز الزناتي خليفة، ملك تونس العجوز الذى يتجاوز المائة عاماً لكنه يظل يقاتل وحيداً دفاعاً عن بلاده.

وحين نقرأ مسرحية "بطل الغروب" للكاتب أحمد سراج ندرك منذ الصفحات الأولى أننا لسنا أمام نص عابر يعيد صياغة أحداث "السيرة الهلالية"، بل أمام عمل يعيد مساءلتها، ويستدعى صورة الفارس النبيل – الزناتى خليفة – ليضعه فى قلب حاضر عربى مأزوم. ويوازن بين الوفاء للمتخيل الجمعى والانحياز لرؤية معاصرة تجعل من السيرة أداة وعى بالذات وبالوطن.

بنية المسرحية

تتكون المسرحية من فصلين طويلين، يتفرعان إلى مشاهد تتراوح بين قصر الزناتي، معسكر الهلالية، ميادين القتال، وخيام الفرسان. البنية تتسم بالتصعيد التدريجي، فالمشهد الأول يبدأ بانكسار الزناتى وتنازله عن العرش شكلياً، لكن سرعان ما يتحول الانكسار إلى مقاومة بطولية تستمر حتى النهاية،

هذه البنية القائمة على التوازى بين معسكرين (الهلالية – أهل تونس) تمنح النص إيقاعاً ملحمياً، وتضع القارئ أمام جدلية "الغازى والمدافع"، "الضيف والمضيف"، "الخيانة والوفاء". وكلما تقدمت المشاهد اكتشفنا أن الصراع ليس عسكرياً فحسب، بل أخلاقى وفكرى فى جوهره.

بين الأسطورة والإنسان

من أبرز عناصر جماليات النص بناء الشخصيات، حيث تتجاوز حدود النمط الشعبى لتكتسب عمقاً إنسانياً:

الزناتى خليفة: شيخ تجاوز المائة، تقدمه المسرحية كفارس خارق، وأيضا كأب، وشيخ، وحاكم يحمل هموم شعبه. يقول: "أنا سورٌ من أسوار تونس؛ فإن انقضيت فأسوار الطمى لا تنتهي".

سعدى ابنته: تمثل الامتداد الروحى لأبيها، وتعيد إلى الأذهان صور النساء اللواتى تحوّلن فى السير إلى رموز للوفاء والتضحية.

أبو زيد الهلالي: ليس الخصم المطلق، بل محارب تائه بين واجبه تجاه قومه وإعجابه ببطولة الزناتي. فى لحظات كثيرة يبدو وكأنه يود لو كان إلى جوار خصمه لا فى مواجهته.

عامر الخفاجي: ضيف الهلالية، الفارس العراقى الذى يقع فى صراع داخلى بعد مبارزته للزناتي. حواره مع ابنته ذؤابة يكشف عن التباس القتال حين يصبح العدو شريفاً.

دياب بن غانم: المحارب الذى ينزع عنه النص صفات الفروسية ليجعله رمز الغدر والخيانة، فهو يطعن الزناتى فى عينه غدراً، محققاً نبوءة الرمل.

هذا التباين بين الشخصيات يثرى المسرحية، إذ تتحول البطولة من مجرّد مهارة بالسيف إلى قضية شرف ووفاء وانحياز للأرض.

بين الملحمة والتراجيديا

تقف مسرحية بطل الغروب على طرف نقيض من سردية السيرة الهلالية الكلاسيكية، التى اختزلت الصراع فى ثنائية "الهلالى الغازي"، و"الزناتى المدافع" المتعنت المستبد. هنا، يعيد أحمد سراج رسم المشهد بوصفه نزاعًا بين صاحب الأرض المدافع عن ترابه، وبين غزاة جاؤوا لاجتياح الأرض. وبذلك، تتحول الرواية إلى قراءة مضادة للتراث، تُسائل مفاهيم "الفتح" و"الحق" وتكشف هشاشة الادعاءات الأخلاقية التى حملها الهلاليون فى غزوهم.

الزناتي خليفة، بحسب النص، هو الرجل الوحيد الذى ظلّ على جواده حتى غروب الروح. ليس فقط فارسًا أسطوريًا تجاوز المئة من العمر، بل حاكمٌ عادل، وقائد يقف بنفسه على الميدان، ويطوف على بيوت الشهداء، ويطعم الجوعى من خصومه. بطل غروب ليس لأنه يُهزم، بل لأنه يختار الموت واقفًا، دفاعًا عن وطنٍ لم يتخلّ عنه. يتحول الزناتى فى هذا النص إلى رمزٍ للكرامة والسيادة، تحتشد حولها القيم النبيلة التى أهدرتها الحرب.

يتكئ النص على بناء ملحمي، يُستعاد فيه الطقس البطولى من خلال صراع فردى تتكرر فيه المنازلات، لكنه يستخدم تلك البنية لتكثيف البعد التراجيدي. فالزناتى لا يُقتل فى ساحة نزال شريف، بل يُطعَن من الخلف، فضلا عن تعرضه للخذلان والخيانة. هنا تتقاطع البطولة بالتراجيديا.

تنفتح المسرحية على مستويات متعددة من التأويل، لعل أبرزها القراءة المعاصرة، حيث يمثل الزناتى رمز الأرض فى وجه غزوات الداخل والخارج، وسقوطه الغادر يكشف عن مأساة من يظل قابضًا على مبادئه فى زمن المساومة والخيانة والغدر. ويبدو أن سراج لا يدافع عن الزناتى بوصفه فردًا، بل يراه نموذجًا للوطنى الشريف فى زمن الخراب. كما تتضمن المسرحية نقدًا ضمنيًا للخطابات القومية القائمة على الدم والنسب، إذ تتكشّف الخديعة فى مسألة القرعة الملفقة، والغزو المُقنّع، والتحالفات المريبة. وحتى الضيف الشريف (الخفاجى عامر) الذى يشارك فى القتال باسم الواجب، ينتهى مطعونًا من الخلف، ما يؤكد مأساوية الانخداع بالرايات البراقة.

وتنتهى المسرحية بموت الزناتي، فيبدو موته غروبا لشموس القيم النبيلة. يموت الزناتى فى مشهد يتجاوز الفعل المسرحى إلى الرؤية الفلسفية. وهكذا، يغدو "بطل الغروب" نصًا عن البطولة التى لا تتكسر تحت أقدام الغدر.

دياب بن غانم بطلا مضادا

فى فضاء السيرة الشعبية العربية، تبرز شخصيات ذات سمات نمطية واضحة، الفارس، الغريم، العاشق، القائد، إلا أن ما يفعله الكاتب أحمد سراج فى مسرحيتيه "بطل الغروب" و"الذئب التائه" هو تفكيك هذا البناء الجاهز، وإعادة صياغته بمنظور معاصر، أكثر تعقيدًا وإنسانية. تأتى شخصية دياب بن غانم بوصفها أكثر هذه الشخصيات تعرضًا للتحول، من نموذج للخصم الغادر فى بطل الغروب، إلى بطل مضاد مأزوم ومتصدع فى الذئب التائه.

فى "بطل الغروب"، يظهر دياب بوصفه خصم الزناتى الأخير، ويُقدّم على نحو درامى يرسّخ صورته كنقيض لكل ما مثّله الزناتى من شرف وولاء للأرض. إنه لا يبارز بشرف، بل ينتظر لحظة الخداع، ويطعن الزناتى من الخلف. ومع أن النص يمنحه القوة الجسدية والمهارة القتالية، فإنه يجرده من صفات الفروسية الأخلاقية.

تتكثف هذه الصورة فى عباراته المفعمة بالازدراء، وفى تهديده للنساء، وفى خضوعه لسلطة (النبوءة)، كما فى موقفه المتعالى على السلطان حسن وأبوزيد. تمثل هذه السلبية الأخلاقية جذرا داخليا لتناقض أكبر، يبدأ فى التشكل منذ لحظة إدراكه لنسبه إلى الزناتي، وإلى قبيلة الزغابة ذاتها، هكذا، يقدمه النص بوصفه الآخر العدائي، لكنه الآخر القريب دمًا، والبعيد روحًا، وهو ما سيُستعاد لاحقًا ليُعاد تأويله بالكامل.

وفى "الذئب التائه"، تتحول مسيرة دياب من ساحة المعركة إلى متاهة نفسية داخلية، فيصبح كائنًا يقتفى أثر ذاته الممزقة، محمّلًا بأسئلة الوجود والانتماء. هنا، لا نراه من الخارج كما فى بطل الغروب، بل نسمعه من الداخل، يتحدث عن الشعور بالدونية، عن الحرمان، عن محاولاته للانتماء لجماعة لفظته، فتصبح شخصيته تجسيدًا للذئب الذى فقد جماعته، ويتحول سلوكه العدوانى من كونه رغبة فى السيطرة إلى صرخة احتجاج.

فى هذا السياق يستخدم أحمد سراج فى بناء الشخصية، تقنيات درامية ونفسية دقيقة، منها الانفصال بين الجسد والهوية، فدياب جسور فى ساحات القتال، لكن يعانى من نقص فى تقديره لذاته، وهو يشعر بالرغبة فى الاعتراف مقابل الإقصاء المتكرر، "أنا فارس بلا عرش.. ذئب بلا قطيع"، كما يرد على لسانه، هذا كله يحول دياب إلى بطل مضاد، لا يمكن اعتباره خصمًا خالصًا، ولا بطلًا تراجيديًا مكتملًا، بل نموذجًا معاصرًا يعكس تشظى الذات.

المفارقة الرمزية بين العملين

فى بطل الغروب، يمثل دياب لحظة الغدر الأخيرة، وكأن وظيفته درامية فقط، بينما فى الذئب التائه، يتحول إلى كيان درامى رمزى يجسد سقوط الفرد فى مواجهة خطاب القبيلة، والبطولة، والنسب، والتاريخ. وهكذا، يشتبك العملان فى خطين متوازيين، الأول يعرض القناع/السلوك، والثانى يكشف الوجه/الندبة.

هكذا، يُمكن القول إن أحمد سراج أسس شخصية دياب بن غانم فى "بطل الغروب" كى يهدمها فنّيًا فى "الذئب التائه"، ويعيد بناءها على أنقاض تناقضاتها. فدياب ليس عدو الزناتى فحسب، بل المرآة المظلمة له. وحين يطعنه، لا يقتله فقط، بل يؤكد موته الداخلى هو نفسه، لا يصبح "الذئب التائه" عن دياب فقط، بل عن كل ذات فقدت مكانها فى التاريخ.

البنية القائمة على التوازى بين معسكرين تمنح النص إيقاعاً ملحمياً وتبرز جدلية "الغازى والمدافع" "الضيف والمضيف" "الخيانة والوفاء"

بقلم: أحمد رجب شلتوت

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر« ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد – شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 342 – السنة الثالثة عشرة – الإثنين 15 ديسمبر 2025 م - 24 جمادى الآخرة 1447 هـ

عندما تنهار الثقة.. من يحمى أطفالنا؟

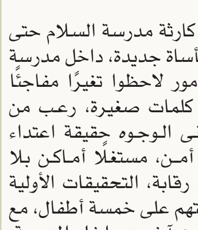

بقلم: إنچي مطاوع

لم تمض أيام على كارثة مدرسة السلام حتى وجدنا أنفسنا أمام مأساة جديدة، داخل مدرسة دولية راقية، أولياء أمور لاحظوا تغيرًا مفاجئًا فى سلوك أطفالهم، كلمات صغيرة، رعب من تهديدات، لتنفجر فى الوجوه حقيقة اعتداء جنسى ارتكبه فرد أمن، مستغلًا أماكن بلا كاميرات، وأوقاتًا بلا رقابة، التحقيقات الأولية أشارت إلى اعتداء المتهم على خمسة أطفال، مع احتمال تواطؤ موظفين آخرين داخل المدرسة، بشاعة الأمر أنه جاء من داخل مؤسسة تُسوّق نفسها باعتبارها "بيئة آمنة راقية".

هذا النوع من الانتهاكات يطرح سؤالا جوهريا: هل المؤسسات التعليمية فى مصر محمية فعلا بمعايير حماية الطفل، أم إن الفجوات التنظيمية تجعل الأطفال هدفًا سهلًا؟

البيانات الدولية تُظهر أن الظاهرة ليست محلية ولا استثنائية، تقديرات اليونيسف تشير إلى أن "واحدًا من كل ثمانية أطفال فى العالم" تعرّض لشكل من أشكال الاعتداء الجنسى قبل سن ١٨، ما يقارب ٦٥٠ مليون امرأة وفتاة تعرضن لعنف جنسى فى الطفولة، أما الذكور، فتتراوح التقديرات بين ٤١٠–٥٣٠ مليونًا، معدل الاعتداءات داخل المدارس يصل إلى ١,٦٪ عالميًا، وهو رقم يبدو قليلًا لكنه يمثل مئات الآلاف من الضحايا سنويًا.

> **قضية "جزيرة إبستين" تبين أن هذه الجرائم لا تحدث فى البيئات المهمشة فقط**

الأطفال فى المدارس.. جرس إنذار

فى مصر، الأرقام الرسمية أقل كثيرًا قياسًا بحجم الطلاب، ليس لورع وإيمان لكن لفجوة بين الواقع وما يتم الإبلاغ عنه، فعدة منظمات دولية سجلت أن الكثير لا يصل إلى الشرطة بسبب الخوف الاجتماعي، الضغط، التشكيك، أو ضعف الوعي، ما يحدث داخل المدارس الخاصة أو الدولية، رغم ارتفاع المصروفات وتجهيزات المباني، يثبت أن "الفخامة" ليست ضمانًا للأمان، العنف الجنسى ضد الأطفال لا يترك جرحًا لحظيًا بل تشوها طويل الأمد، خبراء نفسيون حذروا من أن الطفولة المبكرة هى المرحلة الأكثر هشاشة: تتشكل فيها الثقة، مفهوم الجسد، والقدرة على التفاعل مع العالم، أى انتهاك فى هذا العمر يعيد تشكيل علاقة الطفل بنفسه وبمحيطه، من دون رعاية نفسية عاجلة، قد يلازم الطفل شعور بالذنب أو الخوف أو الانسحاب، وربما يتعرض لصعوبات تعليمية واجتماعية لاحقة، أو الأخطر قد يتحول هو نفسه إلى مصدر تهديد ومجرم خطير.

قضية "جزيرة إبستين" مثلا تبين أن هذه الجرائم لا تحدث فى البيئات المهمشة فقط، بل يمكن أن تقع فى أماكن النخبة، خلف جدران فاخرة وواجهات أنيقة، الاستغلال لا يرتبط بالفقر بل بالفرصة وغياب الرقابة، كلما زادت السرية وضعفت المساءلة، ارتفعت احتمالات الجريمة، لهذا فحماية الأطفال داخل المدارس ليست رفاهية ولا شعارًا إداريًا، مطلوب كاميرات تغطى جميع الممرات والغرف، لجان حماية طفل داخل كل مدرسة، تدريب للعاملين على معايير حماية الأطفال بشكل استباقي، قواعد صارمة تمنع أى خلوة بين أى فرد بالغ وطفل، آليات تبليغ سرية وسريعة، وتدقيق دورى على الموظفين، أيضًا، على أولياء الأمور الانتباه للتغيرات السلوكية مهما بدت بسيطة، فالأطفال لا يملكون اللغة لوصف الجريمة لكنهم يملكون ردود أفعال تدق ناقوس الخطر، على الجميع دراسة تعليم الطفل الكرامة الجسدية بطرق تناسب عمره وكيف يبعد هذا الخطر بمجرد اقترابه منه، إن التستر فى هذه القضايا مشاركة فى الجريمة سندفع ثمنه جميعًا.

المجتمع الذى لا يحمى أطفاله يلقى بمستقبله أدراج الرياح، الحادثة الأخيرة ليست مجرد قضية جنائية، بل تحذير واضح بأن منظومة حماية الأطفال تحتاج إلى إعادة بناء على مستوى السياسات، المؤسسات، والعائلات، المدرسة يجب أن تكون أكثر الأماكن أمانًا فى حياة الطفل، لا مسرحًا لأسوأ كوابيسه.

إهداء لـــ المشهد من الفنان محمد عبداللطيف

المنافقون والانتخابات

بقلم: جمال أسعد

هل يمكن لنا أن نطلق على الانتخابات بأنها موسم للنفاق والمنافقين؟

النفاق هو إظهار ما هو مخالف للباطن. هو الحديث بما يخالف القناعة الداخلية. هو وسيلة رخيصة للحصول على مكاسب غير مشروعة وبطرق غير مشروعة. هو وهذا هو الأهم عدم الثقة فى النفس مما يجعل المنافق طوع رغبة الآخرين قولا وفعلا وسلوكا. المنافق ضعيف الشخصية فاقد الإرادة لا يملك الموقف فالإنسان موقف. وبالرغم من أن الانتخابات هى المرحلة الأخيرة المعبرة عن إرادة المواطن السياسية فى حرية اختيار ممثليه على أرضية الموقف والمنهج والرؤية السياسية التى تميز حزبا عن حزب وتيارا عن آخر. ولكن ولغياب تلك الرؤى وانعدام المواقف السياسية وعدم وجود منهج حزبى وسياسى أصبح المناخ السياسى فارغ المضمون، وتحولت المشاركة السياسية إلى علاقات اجتماعية وانحيازات عائلية وانتماءات طائفية وتجذرات قبلية وجهوية ومناطقية تتناقض كل التناقض مع تلك البديهيات السياسية فى حرية الاختيار بعيدا عن تلك الإملاءات والوصايات المتخلفة!!.

> **هل يمكن لنا أن نطلق على الانتخابات بأنها موسم للنفاق والمنافقين؟**

هذا الواقع المؤلم أفرز غالبية من المرشحين لا علاقة لهم بموقف سياسى أو رؤية ثقافية أو تاريخ نضالى. ولكن لهم قدرة مالية مليونية بل قل تريليونية يشترون بها البشر المأزومين اقتصاديا والذين لا علاقة لها بسياسة أو ثقافة نتيجة لانغلاق المجال السياسى التى توجد فيه أحزاب ورقية ديكورية عائلية لا علاقة لها بأى مفهوم سياسى حقيقى. وجدنا تلك الأحزاب تقدم المساعدات المالية والرشاوى الانتخابية استغلالا للحاجة والعوز بدلا من البرامج السياسية والانتخابية التى يجب أن يتم على أساسها الاختيار الانتخابى الحر.

وشاهدنا مرشحين لا يمتلكون غير الوعود الكاذبة والنفاق المجوج والادعاءات المريضة لكسب عواطف الجماهير بدلا من البرامج السياسية. لم نشاهد كثيرا من المرشحين يطرحون برامج سياسية تليق بالعمل البرلمانى، بل شاهدنا كما من الجهل والجهالة حتى بمعنى السياسة والثقافة. شاهدنا التربيطات العائلية والطائفية والقبلية التى تساهم فى مزيد من القسمة الطائفية التى تهدد سلامة الوطن. (انتخب ابن دينك) أيا كانت قدراته السياسية والثقافية المفقودة، ولا يهم إن كان يصلح نائبا أو لايصلح. فالصلاحية هنا الانتماءات الفرعية والثانوية التى لاعلاقة لها بالاختيار السياسى الحقيقى والصحيح. أعتقد أن هذا الوضع وذاك الواقع المؤلم هو نتيجة لغياب الحياة الحزبية والسياسية الحقيقية والصحيحة التى بدونها سنستمر فى تلك الحلقة المفرغة التى لا ولن تكون فى صالح النظام ولا فى صالح الوطن ولا فى صالح المواطن. افتحوا الابواب للرأى الآخر، استمعوا الى الجميع، فالجميع مصريون يحبون وطنهم ويتمنون تقدمه. نريد أن يتحول التمنى إلى مشاركة وعمل وانتماء حقيقى على أرضية سياسية حتى يمكن أن نعيد المشهد السياسى بعيدا عن تلك الأموال غير المشروعة وبعيدا عن النفاق والمنافقين.

حمى الله مصر وشعبها والعظيم من النفاق والمنافقين.

دفتر محمد هاشم مفتوح للحياة.. لا موت فيه ولا عزاء!

البيان ينوه بأنه بقدر ماكان هاشم مُتيّمًا "فى حبّ الكتاب والحرية"، فقد كان عاشقًا لفلسطين وآخر إصداراته "مختارات سميح القاسم" تقدّموا – وإلى آخر نبضٍ فى عروقى سأقاوم"، من تقديم رجا زعاترة

نعم الفيس بوك "مقلوب" ياست صافى ناز! صافى ناز كاظم تقول بثقة "لعلى أكون الوحيدة التى لم تأسف عليه، وكيف أأسف على ظالم لطفلة "(!!). تستغرب صافى ليه الفيس مقلوب بسبب الناشر (الذى لم تذكر إسمه تجاهلا له !) مع أن الموت لاتجاهل فيه ولا شماتة.. السبب فى تقديرها أنه ظلم الطفلة الصغيرة وأضافت: كل الناس تعرف ذلك! أعرف تطرف مشاعر صافى ناز وحدَتها منذ زمن، وأقبل منها هذه الحدة فقط إذا كانت ضد السلطة والحكومة والمسؤولين، لكن حدتها مع البشر.. وفى المصاب الجلل كالفقدان والرحيل لا أفضلها. الطفلة الصغيرة التى تقصدها من المؤكد أنها تحظى بتعاطف من كثيرين، وموقف هاشم هو أيضا موقف يتبناه كثيرمن المثقفين المرموقين فى المقابل، وهو ليس موجها ضد الطفلة. بالنسبة لى أنا أقف مخالفًا لهاشم فى هذا الأمر.. ولهؤلاء الكثيرين.. ليس لأجل الطفلة فقط، ولكن لأن هذه الطفلة لها أم أعطت ومنحت وقدمت، كما أن لها عائلة تحاسبها .. ووجب رد الاعتبار لها وعدم إذلالها بأى صورة من الصور.

– أما نجاد البرعى فأراد أن يقول للناس "لو كان – هاشم – له فى قلوب بعض الناس كل الحب ده، إزاى ناس منهم بتقول عليه كلام صعب جدًا"، وكانوا يرددونه ولا يقولون له وإنما يقولونه من ورائه، وأنا لا أفعل ذلك. نجاد البرعى الذى لم تتقاطع طرقه يوما ما مع هاشم فاته الكثير من متعة معرفة محمد هاشم، والجلوس فى حضرة ميريت صانعة الفكر والثقافة فى غياب كثير من الدور والمؤسسات الثقافية، وبالنسبة لهاشم أقول من كان منكم بلا خطيئة فليرمه بحجر!

موقف صافى ناز ليس كريما فى الموت، وأستغرب من امرأة تشتغل بالنقد المسرحى ألا يتسع صدرها ليرى الصورة كاملة، ولا يحكم على الناس لموقفهم من حادثة ما، تبدو لنا مثل تلك الواقعة الشهيرة لـ"راشومون"، والتى أوردها د. زكى نجيب محمود فى كتابه جنة العبيط بعنوان راشومون والحقيقة الضائعة وفيها أن أربع شخصيات دخلوا غابة فإذا بهم يفاجأون بجريمة قتل، تبين أن الأربعة جميعهم عندما مثلوا أمام جهات التحقيق فإن كلا منهم تناول مشهد رؤيته للجريمة من زاويته هو.. فجاءت الإجابات الأربعة مختلفة عن بعضها البعض، ومن هنا كانت الحقيقة الضائعة فى المشهد!

الصورة عند فريق معتبر من المفكرين والمثقفين مثل نبيل عبد الفتاح ومحمد هاشم وآخرون مختلفة عنها عندى وعند آخرين غيري.. ولكنى أظن أن صافى ناز أرادت بتطرف وحدّه النيل من هاشم، فألبسته فى حائط ظلمه لـ"طفلة" وظنى – وبعضه ليس إثما – أنها تريد النيل من بعض سلوكياته التى ألح إليها بوست نجاد البرعى وبعض البوستات الأخرى!

عمر إمام الذى بث لايف أمس يطالب فيه الرئيس ووزير الثقافة ورئيس معرض الكتاب بأن يستبدلوا محمد هاشم بنجيب محفوظ، بحيث تكون هذه الدورة فى معرض الكتاب باسم هاشم بدلا من محفوظ، مقدرًا أن اختيار نجيب محفوظ من قبل هو أمر مستحق، لكنه يعوّل على سخونة لحظة موت هاشم.. الآنية.. ألتى حدثت للتو، فى مقابل أن تعاقب السنين على وفاة محفوظ تشعر الناس تجاهها بأنها بردت وفترت.. هكذا قال محب لهاشم ومقدر له وعارف بفضله، وذاهب مع نعشه لدفنه فى قريته بجانب أمه كما أوصى هاشم!

●●●

الحب يقابله حب، ولمن يريد أن يعرف قيمة الرجل"الخطاء" كما يحاول بعضهم أن يختزل هاشم فى هذه الجزئية، عليه أن يقرأ مثلا رثاء بقلم نبيل عبدالفتاح صديق عمره.. والحقيقة أن الصدمة التى تلقاها نبيل كانت من النوع المحسوس الذى تشعر به ولا تعيشه معه. أظن أنه بعد دقيقة من صدمته برحيل هاشم انعزل عن الدنيا.. لا حس له ولا خبر.. هاتفه يبدو ميتا.. الواتس يبدو حزينا ويعلن الحداد.. الفيس بوك كما لو أنه مغلق بالضبة والمفتاح، وتمر ستة عشر ساعة كاملة قبل أن يفكر نبيل فى الحضور من عالم هاشم إلى الواقع، وقبل أن يسمح لدمعة واحدة أن تذرف كتابة على ورق يحترق بحزن عارم لا حدود له ولا يتوقف.

بينما تتوقف دموع وأحزان إبراهيم داوود عند حدود نشر صورة له مع شوما بدون تعليق سوى ابتسامتهما العريضة وهما يتعانقان، فإن رثاء إبراهيم عبد الفتاح – وكلا الإبراهيمين من أشعر الشعراء – كتب عن هاشم الذى كانت حياته مفعمة بحب الناس والأصدقاء و "ميريت " التى ظلت مكانا يستقبل الجميع وفيه حكايات وأحداث.. وفيها حب وفيها خلافات وفيها تناقضات!

فى الدقائق الأولى التى عرفت فيها بالخبر من بوست مقتضب لأقرب أصدقاء هاشم إلى قلبه، وهو المترجم المرموق إيهاب عبد الحميد، شعرت بأنه ينزف حزنا.. لايقوى على الاستمرار فى الكتابة، فكان أول تعبير لى هو: "فى وداع محمد هاشم فقدنا جزءًا غاليًا من تاريخنا الإنسانى والثقافي، ناشر واع ومستنير ومناضل له أخطاؤه وتاريخه فى الثورة والمقاومة والنشر الواعي".

فى تلك اللحظات تمنيت لو كنت جالسًا مع كل الأصدقاء لنرى ماذا سنفعل.. بين نبيل عبدالفتاح وإيهاب عبد الحميد وأحمد اللباد والموك وعادل واسيلى وعلاء طه وأحمد الرسام، وكيف سنذهب بجثمانه إلى مقبرة والدته، وأين ستقام ليلة عزائه، هل بالقرب من ميدان التحرير أم فى ذلك المسجد القريب من دار ميريت سابقا فى شارع صبرى أبوعلم!

فى سابقة نادرة، فإن الذين ودعوا رؤوف عياد رسام الكاريكاتير المعروف بمجلة صباح الخير، نفذوا وصيته وسهروا فى "الجريون" ليلتها، وتركوا مكانا لدموعهم وأحزانهم يذرفونها فى بيوتهم.. وكأن الليلة خمر وغدًا أمرٌ على حد قول العرب.

مؤسسة سميح القاسم نعت الناشر المصرى الكبير محمد هاشم ببالغ الحزن والأسى، كأحد أبرز رموز النشر التقدّمى فى مصر والعالم العربي، الذى قدّم نموذجًا فريدًا فى العمل الثقافى على مدار أكثر من ربع قرن فى دار "ميريت".

وقالت فى بيانها: بقدر ما كان محمد هاشم مُتيّمًا "فى حبّ الكتاب والحرية"، فقد كان عاشقًا لفلسطين ومسكونًا بقضيّتها. وكان اللقاء الأوّل بين الشاعر الفلسطينى الكبير والمثقف المصرى الشاب فى التسعينيات، وتجدّدت العلاقة مؤخرًا، حيث شاءت الأقدار أن يكون آخر إصدارات دار ميريت عبارة عن مختارات سميح القاسم "تقدّموا – وإلى آخر نبض فى عروقى سأقاوم"، من تقديم رجا زعاترة. وجاء رحيل "هاشم" الصادم فى خضمّ التحضيرات لتنظيم ندوات عن المختارات خلال معرض القاهرة الدولى الكتاب، فى يناير ٢٠٢٦ بالقاهرة.

واعتبرت رحيل محمد هاشم خسارة فادحة ومؤلمة للحركة الثقافية والوطنية المصرية وللمشهد الثقافى والأدبى فى العالم العربي، لا يعزّينا فيها سوى هذا الإرث الكبير والمتنوّع فى نشر أهم العناوين لأهم الأدباء فى الشعر والفكر والرواية، ودعم الأقلام الشابة، والالتزام الدائم بقضية الإنسان. وهذه السيرة الفريدة لناشر أصرّ على حرية الكلمة وعلى دقة البوصلة.

تعازينا القلبية – مؤسسة سميح القاسم – نرسلها من جبال الجليل وحيفا وعكا إلى عائلة الفقيد الكبير فى مصر الحبيبة، وأصدقائه وتلاميذه، له الرحمة ولروحه السلام ولذكراه الخلود، وكما قال سميح القاسم "أبدًا على هذا الطريق/ شرف السّواقى أنها تفنى/ فدى النّهر العميق".

●●●

أما نبيل عبد الفتاح فمن بين ماكتبه فى وداع صديق عمره محمد هاشم: سرديات ميريت السياسية/ الثقافية الكتابية والشفاهية كانت جزءا من يقظة عقل مصر الأخرى المستغنية الساعية للتقدم والحرية طريقا لأداء رسالتها منذ الدولة الحديثة.

وقال أيضًا: كل العقول الكبيرة والمبدعة جاءت الى ميريت، ونشرت أعمالها، ووراء تاريخها وهاشم سرديات متعددة، لم تكتب بعد، خاصة مصر الأخرى المستقلة المبدعة.

هنا أتوقف عند طرح نبيل عبد الفتاح لأدعوه إلى المساهمة الفاعلة لتكريم ذكرى صديقه وصديقنا محمد هاشم بأن نفتح دفترا للتدوين لا للعزاء، تدّون فيه كل الذكريات بأقلام معاصريه ومجالسيه ورفقائه فى ميدان الثورة.. الحكايات التى لم تروَ.. التاريخ المشترك الذى لم يكتب.. إننا أحوج ما نكون إلى مثل هذا الكتاب ليكون وثيقة شاهدة على عصر كامل، كان من أبرز رموزه محمد هاشم.. وبالطبع سيكون هناك رؤية للكتابة تشرف عليها، ورؤية فنية للتصميم يشرف عليها الفنان الكبير أحمد اللباد، وبقية الأمور المادية والإدارية عند دار ميريت وصديقنا العزيز إيهاب عبد الحميد. راجيًا وآملا أن تكون هذه دعوة مفتوحة للجميع للكتابة والتدوين عن الكاتب والمثقف والناشر المناضل محمد هاشم رحمة الله عليه.

الناشر الراحل محمد هاشم .. المختلف عليه

ميريت الثقافية

> **دعوة مفتوحة لكل الأصدقاء لتدوين ذكرياتهم معهم.. ففيه تكريم لميريت وهاشم وثورة يناير ٢٠١١**

> **نجاد البرعى الذى أكد أن طرقه لم تتقاطع أبدا مع هاشم يقول "لو ان بعض الناس حزنوا لوفاته فعلا، فكيف كانوا يقولون عليه "كلاما صعبا جدًا"؟!**

> **نبيل عبد الفتاح ناعيًا صديق عمره: كل العقول الكبيرة والمبدعة جاءت الى ميريت، ونشرت أعمالها، ووراء تاريخها وهاشم سرديات متعددة، لم تكتب بعد، خاصة مصر الأخرى المستقلة المبدعة**

> **صافى ناز كاظم تستغرب لماذا الفيس بوك "مقلوب" بعد الإعلان عن رحيل (الناشر) الذى تعمدت تجاهل اسمه واتهمته بالظلم للطفلة!**

> **مؤسسة سميح القاسم تنعى هاشم كأحد ابرز رموز النشر التقدمى مصريًا وعربيًا وتنوه بدوره المساند بقوة لقضايا الشعب الفلسطيني**

بقلم: محمود الشربيني